

تاريخ الأدب

أو

حياة اللغة العربية

مجموع المحاضرات التى ألقاها بالجامعة المصرية عامى ١٩٠٩/١٩١٠

حفني ناصف

أستاذ الأدب بالجامعة

الطبعة الثالثة

١٩٧٣

مطبعة جامعة القاهرة
١٩٧٣

حياة اللغة العربية لحفنى ناصف

تقدمة بقلم ولده

مجد الدين حفنى ناصف

ليس حفنى ناصف غريبا عن جامعة القاهرة التى تنشر هذا الكتاب . فقد تخرج فى دار العلوم ودرس (الأنشاء القضائى والأنشاء العام وآداب البحث والمناظرة والمنطق) فى مدرسة الحقوق ، وتخرج على يديه فيها الكثير من أعلام القانون والأدب والسياسة والاقتصاد أمثال عبد الخالق ثروت واسماعيل صدقى وعبد العزيز فهمى وزكى أبى السعود وتوفيق نسيم وتوفيق دوس وأحمد لطفى السيد ومصطفى كامل وطلعت حرب وأحمد شوقى. هذا بالطبع قبل أن تصبح دار العلوم والحقوق من كليات الجامعة ، بل قبل أن تؤسس الجامعة .

وأسهم فى تأسيس هذه الجامعة ، فقد اجتمع هو وخمسة وعشرون من قادة الفكر (منهم : سعد زغلول وقاسم أمين وعبد العزيز فهمى ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش) فاستقر رأيهم على تأليف لجنة مؤقتة لمباشرة العمل . وفى الجلسة الثالثة (فى ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٠٦) تألفت هذه اللجنة وانتخب حفنى بالاقتراع السرى رئيسا لها . وفى جلسة ٣١ من يناير ١٩٠٨ انتخب سكرتيرا عاما لأموالها ورئيسا وقتيا لها . فأخذ يوجه النداء تلو النداء الى الشعب فى الجرائد ويرسل الرسائل الشخصية الى الخاصة . وفى ٧ من مارس تألفت لجنة لاعداد برامج للجامعة اشترك حفنى فيها مع المشرع الايطالى لوزيناباك والأثرى الفرنسى ماسبيرو ومع قاسم أمين (بك) والدكتور محمد علوى (باشا) وأحمد زكى (باشا) وأسندت الرياسة الى حسين رشدى (باشا) ناظر النظار (رئيس الوزراء) وقد ألقت اللجنة عملها على أكمل وجه مستطاع .

ولما كان انشاء الجامعة المصرية والنهوض بها لا يتفق مع سياسة الاستعمار التقليدية التي كان يشرف عليها مستر دنلوب مستشار نظارة المعارف (وزارة التربية والتعليم) رأى زميله المستشار الانجليزى لنظارة الحقانية (وزارة العدل) نقله الى أقصى الصعيد لابعاده عن عمل الجامعة . فتوجه المجلس الى حسين رشدى (باشا) برجاء كى يسعى الى اعادته الى القاهرة ، ولكن ارادة المستشار الانجليزى كانت هى العليا . فلم يسمع الجامعة الا أن تشكر حفنيا وتعينه عضو شرف بها ، فكان أول مصرى حظى بهذا التكريم ، كما يتضح من خطاب رئيس الجامعة وهذا نصه :

« عزتلو المحترم حفنى بك ناصف وكيل محكمة قنا الأهلية . »

« بعد التحية والسلام . اننى بلسان اللجنة الفنية للجامعة المصرية »
« أشكركم على ما قد قمتم به من الخدم النافعة المتوالية للجامعة المصرية. »
« مع الاعجاب باخلاصكم فى وضع قواعدها ، وأن اسمكم سيبقى على »
« الدوام مقرونا بهذا العمل المجيد ، لأنكم أحسنتم القيام بما تستدعيه »
« البداية فى مشروع خطير كانشاء جامعة مصرية ترتقى بها الأفراد والبلاد »
« وقد قررت اللجنة اعتباركم عضو شرف بلجنة الجامعة . فأهنئكم »
« على هذا الشرف الذى كنتم أول من أحرزه فى مصر . . »
« وأرجو دوام النفع بكم لهذا الوطن المحبوب . »

« رئيس لجنة الجامعة »

« ١٧ مايو ١٩٠٨ »

هذا عن اسهام حفنى فى انشاء الجامعة . وأما عن التدريس فيها فانه عندما نقل وكيلا لمحكمة طنطا (فى سنتى ١٩٠٩ و ١٩١٠) دعته الجامعة لتدريس تاريخ الأدب فكان يفد من طنطا ليلقى درسين متتابعين فى مساء الخميس من كل أسبوع ، وكان يدرس على النحو المتبع فى الجامعات الأوربية من البحث والاستقصاء ، فأتى بكل جديد لم يكن لمصر عهد به ، بادئا بحوثه من حروف الهجاء . ولم يطبع من محاضراته الا هذا الكتاب الذى أسماه بحق « حياة اللغة العربية » ويخبرك المخضرمون الذين كانوا

يواظبون على دروسه أمثال الدكتور طه حسين أن محاضراته كانت تغص فيها بالمستمعين القاعة الكبرى للجامعة (وكانت فى المبنى الذى تشغله ادارة الجامعة الأمريكية فى الوقت الحاضر) .

وجدير بالذكر أنه تبرع للجامعة بالطبعة الأولى من هذا الكتاب ، فلا غرابة أن أعدت التبرع لها بالطبعة التالية اكراما لهذا الارتباط الوثيق بينه وبينها . ولو عاش والدى ما فعل غير هذا فيما أحسب ، كما تبرع لها — على جهد حاله وكثرة عياله — تبرعات متعددة بلغ مجموعها ٧٨٠ من جنيهات ذلك الزمان .

وقد سرت روحه فى بنيه ، فجمعت الآنسة ملك حفنى ناصف (باحثة البادية) بمدرسة المعلمات السنية ٢٧ر٦٦٢ جنيها ، وجمع مجد الدين حفنى ناصف التلميذ بالمدرسة الحسينية الابتدائية الأميرية جنيها و ٣٠٠ مليم (وهذا ثابت فى التقرير الذى قدمته اللجنة عن الفترة بين بدء ظهور المشروع وأواسط سنة ١٩٠٨) .

وقد نسى هذا التاريخ جملة وتفصيلا وكاد يطويه العفاء . ولكن شاء القدر أن أكون مراقبا بادارة هذه الجامعة وأستاذا منتدبا فى معهد الصحافة العالى بكلية الآداب ، حتى ترد الحياة — ولو بعد نصف قرن — على هذه الحقبة المطمورة من تاريخ مصر ، حقبة النضال فى سبيل النور والحرية .

مجد الدين حفنى ناصف

القاهرة فى سنة ١٩٥٨

فاتحـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لمن جعل الأدب ، حلية العرب ، وصلاة وسلاما على رسله الأعلام ، وأنبيائه هداة الأنام ، بأقوى الحجج وأفصح الكلام ، ونخص بالذكر منهم فى هذا المقام ، هودا وصالحا واسماعيل وشعيبا ومحمدا أئمة البيـــان ، وفخر قحطان وعدنان ، وبعـــد • فقد كنت أخشى حين اجتمعنا منذ بضع سنين للتكلم فى انشاء جامعة مصرية ألا أعيش الى أن أمتـــع نظرى برؤية هـــذه الجامعة المتمناه وأبقى الى أن تظهر للوجود آهلة بالطلاب عامرة بالمحاضرات •

لقد ظهرت الجامعة فى العام الماضى كالعروس تتجلى فى الحلى والحلل ولم يكن فى محاضراتها التى ألقيت فى العـــام الماضى درس فى تاريخ أدب اللغة العربية ، والشىء فى العادة لا يظهـــر دفعة واحـــدة بالغا نهاية الكمال بل يتدرج فى النمو شيئا فشيئا حسب السنة الطبيعية ولن تجد لسنة الله تبديلا •

وقد قررت ادارة الجامعة أن يضاف فى هذا العام الى دروس العام الماضى درس جديد فى أدب اللغة العربية لتشوف الطالبين اليه والحاحهم فى الحصول عليه ، وعهدت الى بالقائه ، فلبيت الطلب ، وقمت بما وجب ، وتحققت أن الطلاب شعروا بحاجتهم ، وعرفوا ما فيه فائدتهم • ولقد مضى علينا زمن كان الطلاب ينفرون فيه من التوسع فى اللغة العربية ويعدون الاشتغال بها ضربا من العبث ، وكان الأستاذ منا اذا نطق فصيحا أو كتب صحيحا يسخر منه ويعزى الى الفيهقة لأنه لم يجار طبقتهم ولم يسايرهم فى خطئهم • وأغرب شىء أننا كنا نلاقى مثل هذه الاعتراضات من المتعلمين أنفسهم ؛ فقد سمعت مرة خطيبا يقول فى ناد (قد أتيح لنا كذا) فتغامز عليـــه السامعون وتبسموا بعضهم

لبعض تبسم السخرية فاعتقدت وقتئذ أن الله قضى علينا أن نبقى فى غياهب جب الانحطاط الى يوم النشور •

والحمد لله قد تقشعت اليوم غياهب تلك الجهالات وأقبل الطلاب على التعلم من كل حدب ينسلون ، فانطلقت الألسنة بالفصيح من الكلام وجرت الأقلام بالبديع من الانشاء ، وكان لتنافس الصحف العربية فى الانشاء فضل كبير فى بعث العربية من مرقدها وتجديد طامسها ، واحياء دارسها ، ولانشاء مدرسة دار العلوم وحصر تعليم العربية فى متخرجيها فضل يضارع ذلك ، ولا ننسى تأثير المرافعات القضائية ، فى بدء نشأة المحاكم الأهلية ، وسماع الروايات التمثيلية ، باللغة العربية •

ومالنا لا نشمر عن سواعد الجد لتحصيل علوم تلك اللغة وقد ولع بها اليوم قوم من علماء الافرنج فى ألمانيا وانجلترا والنمسا وفرنسا وايطاليا ، فبحثوا عن أمهات الكتب العربية وطبعوها وصححوها ووضعوا لها الفهارس على أصناف مختلفة حتى لا تخفى على القارىء خافية مثل : كتاب سيبويه ، وشرح ابن يعيش على المفصل ، ومعجم البلدان لياقوت ، ومختصره (مراصده الاطلاع) ، وأحسن التقاسيم فى معـرفة الأقاليم ، ووصف جزيرة العرب للهمذانى ، وقانون ابن سينا ، ومفردات ابن البيطار ، وفهرست ابن النديم ، وغيرها من نفائس الكتب التى يحتاج سرد أسمائها الى كتاب آخر •

وأغرب من ذلك أنهم ألفوا فى العربيـة كتبا نافعة وطبعوها وأصبحنا ونحن فى الديار العربية نشتريها ونحصل الفوائد منها ، فجزاهم الله خيرا • فان كان من الضرورى أن يكون لنا قدوة من أهـل أوروبا حتى فى أخص خصائصنا فها هى ذى القدوة متجلية للعيان ، ظاهرة لكل انسان ، ونسأل الله أن يوفقنـا الى كل نافع ، ويمنع عنا الموانع ، انه مجيب من دعا ، ومفقـه من وعى •

(حفنى ناصف)

تاريخ الأدب , أو حياة اللغة العربية

مقدمة

التاريخ قسمان عام وخاص :

فالعام ما يعرفنا أحوال الأمم الماضية المعروفة من أخلاق وسياسة وديانة وعمران وصناعات ومساكن وعادات •

والخاص ما يعرفنا أحوال أمة معينة أو دولة مخصوصة أو مدينة مسماة أو عظيم من الرجال أو شيء من الأشياء ذوات البال كتاريخ العرب وتاريخ الدولة العباسية وتاريخ بغداد وتاريخ صلاح الدين الأيوبى وتاريخ المواليد الثلاثة المسمى بالتاريخ الطبيعى • ويغلب عليه اسم سيرة وترجمة اذا تعلق بعظيم من الناس وحياة اذا تعلق بشيء من الأشـــياء ذوات البال كحياة الحيوان وحياة النبات •

ومن التواريخ الخاصة ما يتعلق بأمر معنوى كتاريخ الحضارة الاسلامية وتاريخ الأدب الذى نحن شارعون فيه الآن •

فتاريخ الأدب ، أو حياة اللغة العربية ، نوع من التاريخ الخاص يبين أحوال اللغة العربية واستعمالاتها وأطوارها المختلفة من بدء نشأتها الى الآن• ويدخل فى ذلك وصف الكلام من شعر ونثر فى كل عصر من عصور التاريخ وذكر نوابغ الشعراء والخطباء والكتاب والمؤلفين وبيان تأثير كلامهم فى من بعدهم وتأثرهم بمن قبلهم وما حولهم والموازنة بينهم والالمام بمؤلفاتهم • وفائدة

هذا الضرب من التاريخ الوقوف على كيفية نمو اللغة العربية وسيرها التدريجى وبيان أسباب ارتفاعها وانحطاطها ومعرفة أحوالها فى كل عصر على حدته وتمييز ضروب المنظوم والمنثور ونسبة كل قول مأثور الى عصر من العصور واحتذاء الطالب لما يروقه منها وتنكبه عما يستنكره من أساليبها •

وقد وضع كثير من علماء الافرنج للأدب فى لغاتهم تواريخ مخصوصة أفردوها بالتأليف وبعضهم أفرد لأدب اللغة العربية تاريخا خاصا ولكن جاء تأليفه على حسن ترتيبه ودقة تبويبه قاصرا عن الغاية بعيدا عن الكفاية فلم يحو من فقه هذا العلم الا قليلا ، ولم يشف لطالب هذا الفن غليلا • وحسبنا هذا القدر من غريب عن اللغة • فعلينا نحن أن نحذو حذوهم ونأتى بما فيه المقنع فنحن بحاجتنا أعرف ، وصاحب البيت أدرى بالذى فيه •

وهذا العلم لم يغفله علماء العرب بالمرة كما يتوهم بعض الناس بل ذكروه مبعثرا فى كتبهم المطولة التى لم تغادر صغيرة ولا كبيرة الا جمعتها لأن الكتب الأدبية عندهم لا موضوع لها معينا •

والأدب عند العرب يشمل كل ما يصلح العقل واللسان ويهذب الفكر والمنطق • وكان غرضهم من التأليف فيه أولا التوصل الى اجادة النظم والنثر على طريقة العرب وتحصيل ملكة الكتابة فسلكوا لذلك بجمع مختارات من منظوم العرب ومنثورهم ثم بدا لهم أن يذكروا معها مسائل من النحو واللغة فى تضاعيف التآليف ليتمكن بها الطالب من تفهم المنظوم والمنثور ثم أدخلوا فى ذلك نبذا من أنساب العرب وأخبارهم العامة ومسائل من الصرف والبيان والعروض وبثوها فى غضون المؤلفات لمناسبة ما • ثم توسعوا فيها بذكر طرائف من الحكايات وملحا من التاريخ •

ثم توسعوا فيه بذكر كل ما يتوقف عليه فهم الكلام ويفيد العقل واللسان ولذلك قال صاحب المثل السائر : « ان صاحب هذه الصناعة محتاج

الى التشبث بكل فن حتى ما تقوله النادبة فى المأتم والماشطة عند جلوة العروس » واذا تطرفنا الى هذا الحد لا يبقى علم من العلوم الا دخل فى الآداب ولكنهم لم يطلقوه على العلوم العقلية البحتة كالحساب ، والهندسة ، والفلسفة . وكل كلامهم يرمى الى العلوم النقلية مع شىء ضرورى من العقليات .

قال بعض العلماء ان أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهى : أدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرد وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى وما سوى هذه الأربعة تبع لها وفروع منها . وأقول يجب أن يزاد كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه .

والعرب فى الأصل جيل من الناس ممتازون بمساكن ولغة وعادات وديانات مخصوصة .

أما مساكنهم الأصلية فهى جزيرة العرب المحدودة من الغرب بالبحر الأحمر وبعض أرض الشام ومن الجنوب ببحر الهند ومن الشرق ببحر الهند وخليج فارس والعراق العربى ومن الشمال بالجزيرة وبعض أرض الشام وفلسطين .

وتنقسم جزيرة العرب الى خمسة أقسام كبيرة :

أولها اليمن وهو جزؤها الجنوبى المحاط بالبحر من ثلاث جهات وبتهامة واليمامة وابحرين من الجهة الرابعة ومنه حضرموت ومهرة والشحر وعمان.

وثانيها تهامة وهى شمالى اليمن وشرقى البحر الأحمر وغربى الحجاز .

وثالثها الحجاز وهو الحاجز بين تهامة ونجد ومنه مكة مولد صاحب الشريعة الاسلامية والمدينة مهاجَرَهُ ومدفنه صلوات الله عليه .

ورابعها نجد وهى بين الحجاز والعراق العربى غربا وشرقا وبين اليمامة والشام جنوبا وشمالا • ومنها أرض العالية التى حماها كليب ملك بنى وائل ثم قتله جساس وانتشبت لقتله البسوس أربعين سنة •

وخامسها اليمامة وهى بين اليمن ونجد جنوبا وشمالا وبين الحجاز والبحرين غربا وشرقا وتسمى العروض لاعتراضها بين اليمن ونجد ومنها ظهر مسيلمة الكذاب •

وأما عاداتهم فمنها عزة النفس وإباء الضيم والشجاعة وحب التغلب والكرم وكثرة الرحلة وحب المحمدة بما يفعلون والفخر بما يأتون من الأعمال العظيمة واتقاء العار لدرجة أن بعضهم كان يئد بناته خشية أن يأتين بما يجلب العار ، ومنها محافظتهم على أنسابهم فلا يدخلون فيها دخيلا واذا تزوج أحدهم امرأة غير عربية وجاء منها بولد فالولد يسمى عندهم هجينا (من الهجنة وهى القبح) واذا تزوجت المرأة منهم برجل غير عربى فالولد يسمى مقرفا (والاقراف أشد قبحا من الهجنة) ولهذا سقطت منزلة بنى اياد بعد أن اختلطوا بالفرس وساكنوهم ، وقد احتقرتهم العرب وعدوهم عجما ، ومنها احترامهم للأشهر الحرم : رجب وذى القعدة وذى الحجة والمحرم ، فكان الرجل منهم يلقى قاتل أبيه أو أخيه فى هذه الأشهر وهو يطلبه ليقتص منه فلا يتعرض له • ومنها اللسن وصراحة الكلام والصبر والنجدة • ومنها عدم الخضوع للنظام العام ومعاقرة الخمر وقد باع أبو غبشان الملكانى مفاتيح الكعبة لقصى بن كلاب بزق خمر وهو سكران فانتقلت بذلك سدانة الكعبة من خزاعة لقريش وفى ذلك يقول الشاعر :

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت ... بزق خمر فبئست صفقة البادى
باعت سداتنها بالنزر وانصرفت ... عن المقام وظل البيت والنادى

وكانت العرب فى الجاهلية مللا مختلفة فكان بعضهم ينكر الاله والبعث ويقول ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر • وبعضهم

يعترف بالاله وينكر البعث وهم الذين رد عليهم الله فى القرآن بقوله : «أفعيينا بالخلق الأول بل هم فى لبس من خلق جديد » وبعضهم يعبد الأصنام ، وأشهر أصنامهم :

ود لكلب بدومة الجندل .

وسواع لهذيل .

ويغوث لمذحج وبعض قبائل اليمن .

ونسر لذى الكلاع بأرض حمير .

ويعوق لهمذان .

واللات لثقيف بالطائف .

والعزى لقريش وبنى كنانة .

ومناة للأوس والخزرج .

وهمبل اعظم الأصنام وأوسعها دائرة . وكان منصوبا على ظهر الكعبة . واساف ويائلة وكانا منصوبين على الصفا والمروة .

ومنعهم من كان على دين الصابئة ومنهم من هاد ومنهم من تنصر . ولما ظهر الاسلام لم يبق فى جزيرة العرب الا مسلم .

وأنبياء العرب خمسة : هود ، وقد أرسل لعاد فى الأحقاف . وصالح ، وقد أرسل لثمود فى الحجر جهة الحدود بين الشام والحجاز . واسماعيل . وقد أرسل للعرب فى تهامة والحجاز . وشعيب ، وقد أرسل لأهل مدين . ومحمد ، وقد أرسل للعرب والعجم ، صلوات الله عليهم أجمعين .

واسم العرب مأخوذ من الاعراب وهو البيان ويقابله العجم من العجمة وهم من عدا العرب لاختصاص العرب بمزيد فصاحة فيقال عرب وعرب كما يقال عجم وعجم . وواحد العرب عربى واختص أهل البادية منهم باسم الأعراب والواحد أعرابى ، وكان العرب الحاضرون يأبون أن يقال لهم أعراب ويغضبون لذلك .

والمعروف فى سائر اللغـات السامية أن كلمة عرب ترادف كلمة بادية أو بواد ، فلا يبعد أن تكون تسميتهم عربا من اطلاق اسم المحل على الحال ويؤيد ذلك ماقيل من أولاد اسماعيل عليه السلام نشأوا بعربة أو عربات وهى باحة فى أرض تهامة ثم انتقلوا الى الحجارة • وقال بعض علماءالمشرقيات فى وجه التسمية ان العرب نزحوا من جهة العراق الى الجهة الغربيـة وهى جزيرة العرب فسموا عربا أى غربيين لأن الغين مفقودة فى سائر اللغـات السامية • وهذا من المجازفات التى يقع فيها بعضهم كثيرا كقولهم ان امرأ القيس تعريب كلمة مرقس ، وصخر ترجمة اسم بطرس فى اليونانية •

والعرب قسمان بائدة وباقية ، ومن العرب البائدة :

عاد ومسكنهم الأحقاف باليمن •

وثمود ومسكنهم الحجر فى جهة معان ومدائن صالح •

وأميم ومسكنهم بادية أبار بين عمان والأحقاف •

وعبيل ومسكنهم يثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم •

وطسم وجديس ومسكنهم اليمامة •

وعمليق ومساكنهم عمان والحجاز وتهامة وبعض نجد وتيماء وبتراء وفلسطين • وهم القوم الجبارون الذين تهيبهم قوم موسى اذ قالوا : «ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها » ومنهم جالوت الذى قاتل داود فقتله داود عليه السلام •

وجرهم ومسكنهم باليمن ومن بقاياهم قوم هاجروا الى مكة وهم أصهار اسماعيل عليه السلام ثم بادوا •

ووبار ومسكنهم اليمن فى وبار المسماة باسمهم وقد هلكوا أيضا •

والعرب الباقية أود قحطان وأولاد عدنان •

وتنقسم العرب أيضا الى قسمين باعتبــار آخر ، وهم العرب العارية أو العرباء ، والعرب المتعربة أو المستعربة •

فالعرب العاربة هم العرب البـائدة وأولاد قحطان سموا بذلك لأنهم عرب صرحاء خلص ليس فيهم شـائبة الدخيل • ولفظ عاربة أو عرباء تأكيد كما يقال ليل لائل وداهية دهياء • والعرب المتعربة أو المستعربة هم أولاد اسماعيل عليه السلام لأن اسماعيل عبرانى الأصـل ودخل فى العرب وأخذ بلسانهم وتزوج منهم وأنجب سكان شمالى جزيرة العرب •

وأما لغتهم فهى مجموع الألفاظ التى اعتادوا التكلم بها لتفهيم مقاصدهم (ولغة كل قوم مجموع ألفاظهم التى يعبرون بها عن أغراضهم عادة) • وهى التى ورد بها القرآن الكريم وتكلم بها شعراء الجاهلية وتتكلم بها الآن الا أن فى لغتنا الآن شيئا من الغلط فى المادة والهيئة • وقد وجدت فى ألسنة قبائل العرب فروق فى الكلام كما توجد الآن فروق فى ألسـنة بلاد مصر وهذه الفروق لا تمنع التحاور وفهم بعضهم كلام بعض • وباعتبار هذا الاختلاف تعد لغة العرب جملة لغات وان كانت فى الواقع لغة واحدة •

وهذا الجيل من الناس المتميز بالمساكن واللغات والعادات والديانات التى ذكرنا ملخصها هم العرب بحسب المعنى الأصلى • وتطلق كلمة العرب الآن على جميع أهل البلاد الذين يتكلمون باللغة العربية وهم سكان جزيرة العرب والعراق والشام ومصر والسودان والمغرب الأدنى والأقصى •

والكلام فى هذا العلم ينقسم الى ثلاثة أقسام : قسم يتعلق بالحروف ، وقسم يتعلق بالكلمات المفردة ، وقسم يتعلق بالجمل • وسنفرد لكل قسم منها كتابا •

الكتاب الأول

فى حروف اللغة العربيـــة (وفيه فصلان)

الفصل الأول

فى الحروف اللفظية

اذا حللت جميع ما ورد عن العرب من الشـــعر والنثر الى كلمات مفردة وحللت هذه المفردات الى حروف هجائية ذات حركات تجد أن الحروف التى بنى منها هيكل اللغة العربيةخمسة وأربعون حرفا وأن الحركات التىصورت بها الحركات سبع حركات وهذه الحروف والحركات بعضها أصلى وبعضها متفرع ٠

الحروف الأصلية

الحروف الأصلية أحد وثلاثون حرفا وتسمى حـــروف المعجم وحروف الهجاء وألف باء وهى الألف والباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء والدال والذال والراء والزاى والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو واليـــاء وهى المصطلح على رسمها فى الكتابة الآن هكذا :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ى ٠

---

(١) كلمات با تا ثا حا خا را طا ظا فا ها يا فيهـــا المد والقصر والامالة ولغة الامالة هى المستعملة فى كتاتيب مصر ويقال فى الزاى « زين » وهى المستعملة فى مصر وحروف الهجاء اذا سردت ومدت تسكن أواخرها .

والحركات الأصلية التى تصور بها الحروف أربع وهى الفتحة والضمة والكسرة والسكون وهى المصطلح على رسمها فى الكتابة الآن هكذا :

ـَ ـُ ـِ ـْ وأطلق اسم الحركة على السكون هنا تغليبا .

وكلمة « ألف » المذكورة فى أول الحروف وكلمتا « واو » و « ياء » المذكورتان فى آخرها من قبيل المشترك اللفظى .

فالأولى تطلق على الألف فى نحو أمر وامر وأمر ومرء وتسمى بالألف اليابسة وبالهمزة وتطلق على الألف فى نحو قال وتسمى بالألف اللينة وألف المد وهى المراد من حرف « لام ألف » عند من ذكرها فى حروف المعجم لأن ألف المدلا يمكن النطق بها الا اذا سبقها حرف مفتوح سواء أكان لاما أم غير لام وانما قال لام ألف ولم يقل صاد ألف مثلا لخفة اللام فى النطق .

والثانية تطلق على الواو فى نحو « صفوا وصفو وصفو » وتطلق على الواو فى نحو محمود وتسمى واو المد .

والثالثة تطلق على الياء فى نحو « سعيا وسعى وسعى » وعلى الياء فى نحو جميل وتسمى ياء المد .

والذى ذكر « لام ألف » فى الحروف كان عليه أن يذكر « لام واو » و « لام ياء » والجمهور على عدم ذكر « لام ألف » فى الحروف اكتفاء ببيان أن الألف والواو والياء تكون أحرف مد وتكون أحرفا أصلية كما بينا .

فأسماء الحروف الأصلية ٢٨ ومسمياتها ٣١ لأن ثلاثة من الأسماء تدل على ستة من المسميات وهذه الثلاثة هى كما سبق الألف والواو والياء اذ كل واحد منها يكون مدا وغير مد . وتسمى أحرف المد أحرفا مصوتة وباقى الحروف صامتة سواء أكانت متحركة أم ساكنة .

والتحقيق أن الحرف الساكن حرف بسيط وأن الحرف المتحرك مركب من أمرين الأول جوهر الحروف ومادته والثانى جزء من حرف المد ، فالفتحة جزء من ألف والضمة جزء من واو والكسرة جزء من ياء ولولا هذا الجزء لما أمكن تحريك الحرف فاذا طالت الحركة وجد حرف المد كله .

واصطلحوا على كتابة حروف المد دون أبعاضها وذلك للفرق فى النطق بين الحرف الممدود وغيره وللفرق فى المعنى مثل جمل وجمال ونذر ونذور وكلم وكليم .

وسميت الحروف والحركات المذكورة أصلية لوجودها فى ألسنة جميع قبائل العرب ولامكان الاستغناء بها عما عداها بخلاف المتفرعة فانها لا توجد الا فى لسان بعض القبائل ومواضع استعمالهم لها قليلة بحيث اذا تجاوزت هذه المواضع تعد لحنا ولذلك لم يضعوا لها فى الكتابة حروفا مخصوصة كما وضعوا للحروف الأصلية .

الحروف المتفرعة

الحروف المتفرعة على ما ذكره شراح الشافية وأبو حيان فى كتابه « ارتشاف الضرب . من لسان العرب » أربعة عشر حرفا بعضها مستحسن لوقوعه فى فصيح الكلام وبعضها مستهجن لقلة وروده فى لغة من ترتضى عربيته ولا يستعمل فى الفصيح كالقرآن والشعر كما ذكره سيبويه وبعضها مستحسن فى موضع مستهجن فى آخر .

فالأحرف المستحسنة ستة :

أولها حرف بين الصاد والزاى ينطق به بدل الصاد قياسا اذا كانت ساكنة وتلاها دال كأصدق وتصدير (١) ويقل فى يحو صدق ومصادر ومصانع أى اذا كانت متحركة أو لم تكن الدال ثانية أو لم تكن دال أصلا وصوتها كأنه زاى مفخمة كنطق الترك بالضاد فى نحو رمضان وضابط ورياض ومرتضى ، وكنطق عوام المصريين بالظاء فى قولهم ظالم وظاهر .

وثانيها وثالثها ورابعها الهمزة المسهلة وهى المتحركة بعد ألف كتساءل وتساؤل وقائل والمفتوحة بعد فتحة كسأل والمكسورة بعد أى حركة كسئم ومستهزئين وسئل والمضمومة بعد أى حركة كرؤف ومستهزئون ورؤس فيجوز النطق بها حرفا بين الهمزة وبين حرف حركتها أى بين الهمزة والألف أو بين الهمزة والواو أو بين الهمزة والياء ويسمى هذا الحرف الهمزة بين بين .

---

(١) ويجوز النطق بها زايا خالصة كأزدق كما يجوز جعل السين الساكنة زايا كأزدل فى أسدل .

والتسهيل نوع من أنواع تخفيف الهمزة والأصل فى الهمزة التحقيق وهو لغة تميم وقيس • والتخفيف لغة قريش وأكثر الحجازيين وهم لميلهم للسهولة يكرهون الهمز لأن للهمزة نبرة فى الحلق تجرى مجرى التهوع قال على كرم الله وجهه : « نزل القرآن بلغة قريش وليسوا بأصحاب نبر ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ما همزنا » •

وخامسها حرف بين الألف والياء فينطق به بدل الألف الخاصة ويسمى ألف الامالة كما فى نحو عماد وعالم ووسطى • والامالة فى الأصل الميل بالفتحة الى جانب الكسرة فيستلزم ذلك الميل بالألف الى جانب الياء •

وأسبابها ثلاثة : الأول قصد التناسب بين الفتحة الممالة وكسرة سابقة كعماد ، أو لاحقة كعالم ، أو ياء سابقة كبيان وشيبان • والثانى التنبيه على أصل الألف ، اذا كانت منقلبة عن ياء كباع ، أو واو مكسورة كخاف ، أو على مصيرها عند التثنية كحبلى ، أو عند الاسناد للتاء كاستغنى • والثالث مراعاة الفواصل كما فى قوله تعالى : والضحى والليل اذا سجى (١) •

والامالة لغة تميم وسائر العرب ما عدا الحجازيين والألف الممالة عند العرب كحرف È عند الافريج •

ومن العرب من يميل الفتحة قبل الألف امالة خفيفة ويسمى ترقيقا أو امالة صغرى كعابد فتكون كحرف

وسادسها حرف بين الألف والواو ويسمى ألف التفخيم كما فى الصلاة والزكاة والحياة فى لغة الحجاز ولذلك رسموها بالواو فى الكتابة وكما فى سلام عليكم وقام ودعا وغزا وصاع وهى كحرف O فى اللغة الفرنسية •

والأحرف المستهجنة ستة أيضا •

أولها حرف بين الجيم والكاف وينطق به فى ثلاثة مواضع :

الأول بدل الكاف فى لغة اليمن وبغداد فيقولون فى كامل وكافر جامل وجافر (بجيم مصرية) •

---

(١) تجوز امالة الفتحة قبل هاء التأنيث كميم فاطمة ورحمة عند الوقف، قال سيبويه انها لغة فاشية بالبصرة والكوفة وما قرب منها •

والثانى بدل الجيم فى لغة البحرين وعكل وعليها عامة أهل القاهرة وهو كالجيم الجرمانية وكحرف G الفرنسية اذا تلاها A أو O أو U والفرس يرسمونها كاف ذات خطين هكذا گ .

والثالث بدل القاف فى لغة أهل البوادى وتسمى قافا معقودة وتفخم تفخيم القاف قال فى الارتشاف : وهى الآن غالبة فى لسان من يوجد فى البوادى من العرب حتى لا يكاد عربى ينطق الا بالقاف المعقودة لا بالقاف الخالصة المنقولة على وضعها الخالص على ألسنة أهل الأداء من أهل القرآن .

وثانيها حرف بين الصاد والسين ينطق به بدل الصاد فى نحو صابر وصبغ وعليه المتظرفون من أهل القاهرة الآن .

وثالثها حرف بين الطاء والتاء ينطق به بدل الطاء الخالصة وهو كثير فى كلام عجم المشرق عند نطقهم بالعربية لأن الطاء معدومة فى لغتهم فاذا أرادوا النطق بها تكلفوها فخرجت بين الطاء والتاء كالسلطان والطبق وعليها متظرفو القاهرة الآن .

ورابعها حرف بين الضاد والظاء ويسمى بالضاد الضعيفة قال الفارسى : كما اذا قلت ضرب ولم تشبع مخرجها ولا اعتمدت عليه ولكن تخففه وتختلس فيضعف اطباقها وقال السيرافى : انها فى لغة قوم ليس فى لغتهم ضاد فاذا احتاجوا الى التكلم بها فى العربية اعتاصت عليهم فربما أخرجوها ظاء أو بين الضاد والظاء .

وخامسها حرف بين الظاء والثاء ينطق به بدل الظاء فى نحو ظالم وظاهر ويجىء ذلك من المبالغة فى اخراج اللسان فكأن الناطق يقول ثالم بالثاء مع التفخيم .

وسادسها حرف بين الباء والفاء ينطق به بدل الباء الصريحة فى نحو بور (جمع بائر بمعنى هالك أو اسم شخص) وبلخ وأصبهان ، قال السيرافى : هى كثيرة فى لغة العجم وهى على ضربين أحدهما لفظ الباء أغلب عليه من الفاء والآخر لفظ الفاء أغلب عليه من الباء وقد جعلا حرفين من حروفهم سوى الباء والفاء المخلصين ثم قال : وأظن أن العرب انما أخذوا ذلك من

العجم لمخالطتهم اياهم • فيفهم من ذلك أنها ضربان ضرب كحرف P وضرب كحرف V عند الافرنج •

والأحرف المستحسنة فى موضع المستهجنة فى آخر اثنان :أولهما حرف بين الشين والجيم كحرف G الفرنسى ينطق به الشين استحسانا اذا كانت ساكنة وتلاها دال كأشدق ومشدود لأن الشين مهموسة رخوة والدال مجهورة شديدة فاذا أشربت الشين صوت الجيم تناسب صوت الحرفين • وينطق به بدل الجيم استهجانا اذا كانت ساكنة وتلاها دال أو تاء نحو أچدر واچتمعوا • ومن اللحن النطق بها هكذا اذا كانت متحركة كچميل أو لم يتلها تاء ولا دال كأچمل كما تفعل المغاربة وأهل الشام ، وثانيهما حرف بين الواو والياء كحرف U الفرنسى ينطق به استحسانا بدل الواو الخالصة أو الياء الخالصة فى نحو قيل واختير (١) فى لغة كثير من قيس وأكثر بنى أسد كفقعس ودبير وينطق بها استهجانا بدل واو المد التى بعدها راء مكسورة نحو ابن بور كمذعور فتميل الضمة الى جهة الكسرة ويتبع ذلك ميل الواو الى جهة الياء كما قال سيبويه •

الحركات

الحركات قسمان أصلية ومتفرعة • فالأصلية هى الفتحة والكسرة والضمة والسكون وهى المصطلح على تصويرها هكذا ـَ ـِ ـُ ـْ كما قدمنا •

والمتفرعة ثلاث — اثنتان منها مستحسنتان : أولاهما حركة بين الفتحة والكسرة ينطق بها بدل الفتحة الخالصة فى نحو عماد وعالم وبيان وشيبان وباع وخاف وحبلى والضحى ورحمة وتسمى فتحة ممالة كما مر • والأخرى حركة بين الفتحة والضمة ينطق بها فى لغة الحجاز بدل الفتحة الخالصة فى نحو الصلاة والزكاة والحياة كما سبق • وواحدة مستحسنة فى موضع مستهجنة فى آخر وهى حركة بين الضمة والكسر ينطق بها استحسانا بدل الضمة

(١) فى نحو قيل وبيع واختير ثلاث لغات : اخلاص الكسر وهو لغة قريش ومن جاورهم ، واخلاص الضم وهو لغة هذيل ، والاشمام وهو لغة كثير من قيس وأكثر بنى أسد ، ا هـ .

الخالصة فى نحو قيل وبيع واختير كما سلف (١) واستهجانا بدل الضمة الخالصة فى نحو ابن بور ومذعور •

بيان كيفية نطق العرب بالحروف

الطريق المعقول لمعرفة كيفية نطق العرب بالحروف هو التلقى عمن تلقاها عنهم تلقيا صحيحا لكن لما كان ذلك غير ميسور فى كل زمن كان الخطأ يعرض للمتلقين مع مرور الزمان لضعف فى آلات النطق عند بعض الناس أو لتعوده فى الأصل على نطق ملحون أو لنسيان يعتريه وضع العلماء الذين سمعوا نطق العرب ضوابط اذا وعاها الطالب أمكنه أن يعرف كيف كان العرب ينطقون وأن يصحح ما عساه يعرض له من الخطأ وتنحصر هذه الضوابط فى بيان مخارج الحروف وذكر صفاتها •

مخارج الحروف

اذا أردت أن تعرف مخرج حرف فالفظ به ساكنا أو مشدودا واصغ اليه فحيث انقطع الصوت كان مخرج الحرف • اذا عرفت ذلك يقول :

مخارج الحروف خمسة عشر مرتبة من ابتداء الصدر ذاهبا مع الصوت الى الشفتين وهذا بيانها :

١ — حروف المد وهى (ا و ى) تخرج من جوف الصدر وتنتهى الى هواء الفم من غير أن تعتمد على اللسان أو الأضراس أو الحنك •

٢ — والهمزة والهاء تخرجان من أقصى الحلق سير أن الهمزة أدخل فى الحلق •

٣ — (ع ح) من وسط الحلق والعين أدخل •

٤ — (غ خ) من أدنى الحلق الى الفم والغين أدخل •

٥ — (ق) من بين أقصى اللسان وما فوقه من الحنك •

٦ — (ك) مما يلى مخرج القاف من اللسان والحنك •

---

(١) أى ليست ضمة صريحة ولا كسرة صريحة فالبينية فى قوله «بين الضمة والكسرة » على الشيوع كما رواه الشاطبى وقد روى المرادى عن بعض المتأخرين أنها تتركب من جزأين جزء من الضمة سابق وجزء من الكسرة لاحق فالبينية عنده على الافراز ، ا هـ .

٧ — (ج ش ى) من بين وسط اللسان وما فوقه من الحنك غير أن الجيم أدخل والياء أخرج •

٨ — (ض) من بين جانب اللسان من أقصاه الى قرب رأسه وبين ما يقابل ذلك من الأضراس العليا فتستغرق أكثر حافة اللسان •

٩ — (ل) من بين جانب اللسان (من موضع انتهاء مخرج الضاد) الى منتهى طرفه وبين ما يقابل ذلك من الحنك الأعلى فويق الأسنان (١) فالضاد واللام يتوزعان حافة اللسان ويقابل حافة اللسان فى الضاد الأضراس نفسها ويقابلها فى اللام ما فويق الأسنان لا الأسنان نفسها على ما حققه سيبويه وتابعه الجمهور •

١٠ — (ر ن) من بين طرف اللسان الى رأسه وبين لثة الثنيتين العلويتين غير أن الراء أدخل فى ظهر اللسان قليلا •

والمراد هنا بالنون المظهرة فى نحو أنعمت ، أما المدغمة فى نحو من وفد ومن لنا ومن نجد والخفية فى نحو انتظر منشورا فمخرجها الخيشوم(٢) •

١١ — (ط د ت) من بين طرف اللسان وبين أصول الثنايا العليا مصعدا الى الحنك غير أن الطاء أدخل والتاء أخرج •

١٢ — (ص س ز) من بين رأس اللسان والثنايا أنفسها من غير أن يتصل بها وانما يحاذيها ويسامتها غير أن الصاد أدخل والزاى أخرج •

١٣ — (ظ ذ ث) من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا غير أن الظاء أدخل والثاء أخرج •

---

(١) المراد بالأسنان الضاحك والناب والرباعية والثنية وقد نظم بعضهم أسماء الأسنان فقال :

ثنيات الفتى ورباعيات … اذا فمه خلا عنها انتفاع
وأربع الضواحك ثم ست … وست فى طواحنها اجتماع
وأربع النواجز ما لشخص … وأنياب له كل رباع

(٢) تكون النون الساكنة مظهرة اذا تلاها حرف حلق كانعمت ومن هاجر وتكون مدغمة اذا تلاها من كلمة أخرى حرف من أحرف (يرملون) نحو من وفد ومن نجد وتتحتم فيها الغنة اذا كان التالى ميما أو نونا .

وتكون خفية (أى بين الاظهار والادغام) اذا تلاها حرف آخر غير أحرف الحلق وأحرف (يرملون) وتقلب ميما اذا تلاها باء نحو منبع ومن بعد .

١٤ — (ف) من بين الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا .

١٥ — (ب م و) من الشفتين منطبقتين للأولين ومنفتحتين للأخيرة غير أن الباء أدخل والواو أخرج (١) .

صفات الحروف

ذكر مخارج الحروف لا يغنى عن ذكر صفاتها لأن مخرج الحروف كالميزان يبين الماهية والكمية والصفة كالمحك يبين الهيئة .

١ — فمن الصفات الانطباق والانفتاح ، والأحرف المطبقة هى (ط ص ض ظ) لأن الناطق بها يرفع لسانه الى الحنك فيصير الحنك كالطبق على اللسان وتخرج الألف بينهما مطبقا عليها والطاء أقواها اطباقا والظاء أضعفها والمنفتحة ما عداها قال سيبويه لولا الاطباق فى الصاد لكان سينا وفى الظاء لكان ذالاً وفى الطاء لكان تاء ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من الحروف فى موضعها غيرها .

٢ — ومنها الاستعلاء والاستفال فالأحرف المستعلية يجمعها (خصّ ضغط قظْ) لاستعلاء اللسان عند النطق بها الى الحنك وان لم يصل فى (خ غ ق) الى درجة الاطباق ، فالاطباق زيادة فى الاستعلاء وأخص منه والمستفلة ما عداها .

٣ — ومنها التفخيم والترقيق والمراد بالتفخيم تغليظ الحرف فى موضع خروجه وبالترقيق انحافه . أما تفخيم الأعاجم بالمبالغة فى فتح الفم فليس له أصل فى العربية .

وحروف الاطباق مفخمة من أصل وضعها بحيث اذا رققت انعدمت وباقى حروف الاستعلاء وردت مفخمة واذا رُققت لا تنعدم ولكن يكون فيها خطأ ومخالفة لما ورد .

وحروف الاستفال لم ترد الا مرققة ما عدا الراء واللام وألف المد والراء ، واللام لهما حالتان .

---

(١) تكون الميم الساكنة مدغمة اذا تلاها ميم نحو : كم من فئة ، وتكون خفية اذا تلاها باء نحو فاحكم بينهم وتغنّ الميم فى الحالتين ، وتكون مظهرة اذا تلاها حرف غير الميم والباء نحو ذلكم خير لكم .

أما الراء فالأصل فيها التفخيم ، وترقق اذا كسرت نحو يضرب أو أميلت نحو الكبرى (بالامالة) أو سكنت بعد كسرة لازمة ليس بعـدها حرف استعلاء نحو سربال ، وخرج عن ذلك نحو البرق والقربى لعدم وقوعها بعد كسرة ونحو أرجع وان ارتبتم لأن كسرة همزة الوصـل غير لازمة لامكان حذف الهمزة ونحو : صاد وقرطاس وفرقة لوجود حرف استعلاء بعدها ، أو سكنت فى الوقف بعد سـاكن مسبوق بكسرة كفهر وبشر بشرط أن لا يكون هـذا الساكن حرف اسـتعلاء كمصر وخضر وقطر • وأما اللام فالأصل فيها الترقيق وتفخم وجوبا فى لفظ « الله » و « اللهم » بعد فتحة أو ضمة نحو قال الله ويقول الله واللهم وتفخم جوازا فى نحو صلاة ويصلى وضلال وطلب ويظللن أى بعد حرف اطباق مفتوح أو ساكن •

وأما ألف المد فتفخم وترقق تبعا لما قبلها كصالح وبارع •

٤ ـ ومنها الجهر والهمس فالمجهورة ما يقتضى النطق بهـا اشـباع الاعتماد على موضع خروجهـا فينقطع النفس الخارج من الصـدر الى أن ينقضى الاعتماد عليهـا والا يتأتى النطق بهـا الا مع جهرها • والمهموسـة ما لا يقتضى النطق بها اشباع الاعتماد على موضعها ويبقى النفس عند النطق بها جاريا ويجمع الحروف المهموسة (سكت فحثه شخص) والمجهورة ما عداها (١) •

٥ ـ ومنها الشدة والتوسط والرخاوة • فالشديدة ما يقتضى الاعتماد فيها على موضعها عند اسكانها انقطاع الصوت وان لم ينقطع النفس ويجمعها (أجدك قطبت) ويجمع المتوسطة (لم نرع) والرخوة ما لا يقتضى الاعتماد فيها على موضعها عند اسكانها انقطاع الصوت وهى ما عدا ذلك (٢) قال السخاوى وابن الجزرى وعلىّ القارى : سميت رخوة لأنها ارتخت عندالنطق بها فضعف الاعتماد عليها وجرى معها النفس والصوت حين لانت ولا يشتبه عليك الجهر بالشدة ولا الهمس بالرخاوة لأن مدار الجهر على امتناع النفس ومدار الشدة على امتناع الصوت فاذا امتنعا معا كان الحرف مجهورا شديدا

---

(١) يمكن أن تجمع فى قولك (البغض قطع ظن ذى جد مزور) .

(٢) يمكن أن تجمع فى قولك ضغفث فذهز شص حظ : يسوخ الا أن (ظ ذ ض ز) فيها شبه نفخ لأن الضاد المنفذ بين الأضراس والبواقى تجده بين الثنايا .

واذا جريا معا كان مهموسا رخوا واذا امتنع النفس وجرى الصوت كان مجهورا رخوا واذا امتنع الصوت وجرى لصوت كان مهموسا شديدا فتفطن لذلك فطالما زلت فيه أقدام وحارت فيه أفهام (١) .

والأحرف المتوسطة بين الشدة والرخاوة صوتها منقطع فى الواقع وانما تعرض لها أعراض توجب خروج الصوت من غير مواضـعها فالميم والنون لهما مسلك الى الخيشوم والراء واللام منحرفان كما سيأتى والعين ينسل صوتها قليلا الى جهة الحاء فكأنك وقفت على الحاء .

٦ ـ ومنها الذلاقة والاصمات فالذلاقة الخفة والفصـاحة وحروفها (مر بنفل) لأن بعضها يخرج من طرف اللسان وبعضها من الشفتين فلا كلفة فيها ألبتة . والاصمات الثقل فان الشىء المصمت يكون ثقيلا عادة وحروفه ما عدا ذلك ولا يوجد فى العربية بناء أصلى رباعى أو خماسى خال عن حروف الذلاقة ولذلك حكموا بأن كلمة عسجد (ذهب) وكلمة عَسْقَد (طويل أحمق) وكلمة زهزقة (قهقهة) ليست عربية بل معربة .

٧ ـ ومنها القلقلة وحروفها (قطب جد) فاذا وقفت على حرف منها يجب قلقلته قليلا من موضعه كأنه تحركه تحريكا خفيفا وسبب ذلك اجتماع الجهر والشدة معا فيه وهما مانعان جريان النفس والصوت فتتوصل لاسماع الصوت بالقلقلة .

وأجاز المبرد قلقلة الكاف وفى كلام سيبويه ما يفهم منه جواز قلقلة التاء وعليه نطق المغاربة .

٨ ـ ومنها الصفير وأحرفه (ص ز س) لأن صوتها يشبه صفير الطائر .

٩ ـ ومنها الانحراف وحرفاه (ل ر) لأن اللسان ينحرف عند النطق باللام الى داخل الحنك فلا يخرج الصوت من موضع اللام بل من ناحيـة مستدق اللسان فويق ذلك كما قال سيبويه وعند النطق بالراء الى جهة اللام ولهذا تجد الصبيان يلثغون بها .

---

(١) اذا كررت حرفا مهموسا كالكاف مثلا وقلت ككك تجد الصوت والنفس جاريين معا واذا كررت حرفا مجهورا كالقاف وقلت ققق تجد الصوت جاريا والنفس ينقطع ثلاث مرات فينقطع حين النطق بأصل الحرف ويجرى مع الحركة لأنها جزء من حرف آخر .

١٠ — ومنها التكرير ويختص بالراء لارتعاد طرف اللسان عند النطق بها ارتعادا خفيفا كأنه يتعثر ٠

١١ — ومنها التفشى ويختص بالشين لانتشار هواء صوتها فى الفم عند النطق حتى تتصل بحروف طرف اللسان كالظاء ، وفى الضـاد تفش قليل ولذلك عدها بعضهم مع الشين ٠

١٢ — ومنها الاستطالة وتختص بالضاد لأنك عند النطق بها تمكنها من مخرجها لتحصيل الصفات المميزة لها عن الظاء فيطول النطق بها أكثر من سائر الحروف ٠

١٣ — ومنها الهتة والبحة وكلاهما عصر الصوت ، قال الخليل لولا هتة فى الهاء لأشبهت الحاء ولولا بحة فى الحاء لأشبهت العين ٠

١٤ — ومنها اللين ويختص بحروف العلة الساكنة بعد فتحة كخوف وبيت ومال ٠

١٥ — ومنها المد ويختص بالأحرف (و ى ا) الساكنة المسبوقة بحركة مجانسة ٠ والمد ضربان : طبيعى وغير طبيعى ٠

فالمد الطبيعى هو ما كان بمقدار حركتين فقط بحيث لو نقص مقداره انعدم المد ووجد فى موضعه حركة واحدة كجمال ونذور وكليم فانه اذا نقص مدها آلت الى جمل ونذر وكلم ٠

فكما أن الفتحة نصف ألف والضمة نصف واو والكسرة نصف ياء كذلك تكون الألف بمقدار فتحتين والواو بمقدار ضمتين والياء بمقـدار كسرتين وسواء أسرعت فى الكلام أو أبطأت فالنسبة محفوظة بمعنى أن الألف يستغرق نطقها من الزمن بقدر ضعف ما تستغرقه الفتحة والفتحـة يستغرق نطقها من الزمن بقدر نصف ما تستغرقه الألف وهكذا يقال فى الواو والضمة وفى الياء والكسرة ٠

والمد غير الطبيعى ما يزيد مقداره عن حركتين بحيث لو نقصت هـذه الزيادة يبقى المد طبيعيا كالدابة والسماء فان مدهما أطول من جمال ومهما طال زمن المد فلا يصح أن يزيد عن خمس ألفات ٠

وسبب المد غير الطبيعى اما معنوى واما لفظى ، فالمعنوى ما يقصد به تقوية المعنى وهو أمر معروف عند العرب وقد ورد كثيرا :

فى نداء البعيد كيا على ويا عمر ويا مولاى •

وفى الاستغاثة كيا للرجال ويا للثارات •

وفى النفى بلا التى للجنس كلا حول ولا قوة الا بالله •

وفى الندبة نحو واولداه ووامصيبتاه •

وعند ارادة التأكيد ومنه قوله تعالى « ويخلد فيه مهانا » روى بمد الهاء من فيه كأنه يقول فى العذاب نفسه •

والمد لسبب معنوى ليس بواجب بل جائز ويجب أن لا يزيد عن أربع ألفات • واللفظى ما يقصد به اعطاء اللفظ صفة بقطع النظر عن معناه • ويكون لأحد سببين اما وجود الهمزة بعد حرف المد نحو جاء ويجىء ويبوء واما وجود ساكن بعد حرف المد نحو الدابّة والضالين • فالذى سببه الهمزة واجب عند الاتصال كجاء وتجىء وجائز عند الانفصال كأتى أمر وعنده أمر • والذى سببه السكون واجب اذا كان السكون أصليا كالضالين والآن• وجائز اذا كان السكون عارضا لوقف كالرحيم أو لادغام كالرحيم مالك •

والى هنا تم ذكر مخارج الحروف الأصلية وبيان صفاتها • أما الحروف المتفرعة فتعرف مما تقدم لأن كل حرف منها وسط بين حرفين أصليين •

« تطبيق على ما سبق »

الهمزة من الحروف المرققة فمن الغلط تفخيمها فى آه وأب وأرض وأصل وأضرار وأطباق وأظفار وأغراض وأخصام وأقطار ونحوها •

والباء من الحروف المرققة فمن الغلط تفخيمها فى أب وبابا وبسطن وبطن وأسباط وباغوص وباطوم وبطريق وبلطه وبحر وبر ويابان •

والتاء مخرجها بعد الطاء والدال بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا فمن الغلط رفع اللسان بها الى قرب موضع الدال والنطق بها كما ينطق بعض الألمان والانجليز وهى أيضا مهموسة يجرى معها النفس قليلا فمن

الغلط قطع النفس فيها بالمرة كما أنه من الغلط المبالغة فى اخراج النفس معها فى لسان المغاربة حتى كأن بعدها سينا فاذا قالوا «رمت» تسمعها كأنها رمتس .

والثاء مخرجها بين طرف اللسان وأطراف الثنايا فمن الغلط نطق العوام بها تاء فى ثعبان وعثمان وثمر وثعلب ، ونطق بعض الخواص بها سينا فى ثلاثة وثمانية وثم وثمود .

والجيم أدخل فى وسط اللسان من الشين والياء فليس من الفصيح نطق أهل القاهرة بها قريبة من الكاف فى نحو جَمل وجميل ولا نطق المغاربة وأهل الشـام بها فى نحو أچدر واچتمعوا ومن اللحن نطقهم بها فى نحـو چمل وأچمل ونطق بعض قرى مديرية جرجا بها دالاً خالصة كالدحش والدمل يعنون الجحش والجمل ونطق بعض اليونان بها ياء كيريى يعنون جرجى وأحسن نطق لها نطق أهل الصعيد والشرقية .

والحاء مرققة فمن الغلط تفخيمها فى حاضر وحافظ وحصى ، وأيضا الحاء فيها بحة يجب مراعاتها فى نحو أحمد حتى لا تلتبس بالعين .

والخاء مفخمة فمن الغلط ترقيقها فى خالد وخان وخرج وخال ودخـل وخلخال وخاتم وهى أدنى حروف الحلق الى اللسان فمن الغلط الرجوع بها درجتين حتى تصير حاء كما يفعل أهل مالطة .

والدال مجهورة لا نفس معها فمن الغلط الخروج بها الى جهة التاء فى لفظ الدار والدليل كما تراه فى الدال الألمانية .

والذال مخرجها من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا ولا صفير فيها فمن الغلط نطق العوام بها دالاً فى ذيب وذهب وذاب وذيل وذمة ونطق بعض الخواص بها زايا فى الذى وذات ومذكور وذراع وذنب .

والراء مفخمة الا فى مواضع تقدم ذكرها فمن الغلط ترقيقها فى الدرس والمدرسـة والبرد والمركب والمرتبة والحرام ورجب ودرويش وتفخيمها فى تشريط وعمريط وحمارِى ونهارى وشـهرى وظهرى وعمرى وهى أيضا مكررة فمن الغلط النطق بها كالضاد فى عرب وغرائب أو كالغين كما فى لسان بعض الباريسيين أو كالواو كما ينطق بها بعض الناس فى أرض وراح .

والزاى مجهورة فمن الغلط النطق بها كالسين فى يزجى ويزرى وازدهى .

والسين مهموسة والعوام يجهرون بها كالزاى فى مسـألة وأسـباب ومسجون .

والشين لا صفير فيها واليونان المتعربون ينطقون بها سينا كما ينطق بها الصبيان .

والصاد مفخمة وبعض المتظرفين يرققها غلطا .

والضاد مستطيلة ومخرجها جانب اللسان لا طرفه فمن الغلط النطق بها دالاً مفخمة كما فى لسان المصريين عامتهم وخاصتهم وسبب الغلط اعطاؤها أطباقا أقوى كأطباق الطاء فتزول حينئذ حافة اللسان عن الأضراس ويصل رأس اللسان الى الثنيتين العلويتين كما فى الطاء مع أن اطباق الضاد أقل من الطاء وفيها استطالة ورخاوة بحيث يخرج معها نفس قليل ومن الغلط أيضا النطق بها كالظاء لأن ذلك ينافى الاستطالة . قال صاحب الرعاية الضاد والطاء متشابهان فى السمع لأنهما مطبقان ومستعليان ومجهوران ورخوان وايما الفرق بينهما وجود الاستطالة فى الضاد دون الظاء وضعف اطباق الظاء عن الضاد ثم قال الضاد أصعب الحروف تكلفا وأشدها صعوبة على اللافظ . وأكثر من رأيت من الأئمة يقصرون فيها لصعوبتها على من لم يدرب فيها . قال ان الجزرى: والناس يتفاضلون فى الضاد فمنهم من يجعلها ظاء مطلقا وهم أكثر الشاميين وبعض أهل المشرق ومنهم من لا يوصلها الى مخرجها بل يخرجها دونه ممزوجة بالطاء المهملة وهم أكثر المصريين وبعض أهل المغرب ومنهم من يخرجها لاما مفخمة وهم الزيالعة ومن صاقبهم ، ونقل ابن جنى فى التنبيه أن من العرب من يجعل الضاد ظاء مطلقا .

والطاء مفخمة فمن الغلط ترقيقها كما نجد فى لسان أهل القرى المجاورة لرشيد فيقولون فى طبق تبق .

والظاء مخرجها من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا لا الثنايا نفسها وليس فيها صفير ، فمن الغلط نطق عامة المصريين بها زايا مفخمة وقد تقدم أن هذا النطق مختص بالصاد الساكنة اذا تلاها دال كأصدق .

والعين أدخل فى الحلق من الخاء فمن الخطأ النطق بها كالحاء فى نحو لم أعهد ولا تطعهُ وبعهُ لأن العين لا بحّة فيها .

والغين مجهورة ومخرجها أدخل فى الحلق من الخاء المهموسة فمن الخطأ النطق بها كالخاء فى يغشى ومغزى •

والفاء مخرجها بين باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا ولا لين فيها فمن الخطأ النطق بها بين الفاء والواو فى شفى وفشا وفضاء كما ينطق الافرنج بحرف V

والقاف ليست من حروف الحلق فمن الخطأ نطق المصريين بها همزة كقولهم فى (قبل) (أبل) وهى أيضا مطبقة فمن الخطأ النطق بها كافا مفخمة أو غير مفخمة كما يفعل المتشبهون بالترك أو الافرنج فيقولون فى « قانون وقلب وحقيقة » (كانون وكلب وحكيكة) وهى أيضا أدخل فى اللسان والحنك من الكاف فالنطق بها مما بعد الكاف من اللسان والحنك مخالف للغة قريش كما يفعل أهل الصعيد والشرقية عندنا وان لم يعد ذلك لحنا •

والكاف مخرجها بعد مخرج القاف وقبل الجيم والشين فمن الخطأ النطق بها قريبة من الشين كما يفعل الفرس والترك فى نحو (الله أكبر) وكما يفعل أهل الزنكلون من مديرية الشرقية فى نحو الكلب أكل الكشك •

واللام مرققة على الأصل الا فى موضعين سبق ذكرهما فمن الخطأ تفخيمها فى غيرهما كما ينطق بها الأعراب الآن فى نخل وعقل وانكليز مصر فى نحو كلب مثل ما تسمع من كثير من المصريين فى كلمات «باللو وألمان وهولنده» •

والميم مرققة فمن الخطأ تفخيمها فى يحو ماضى ومطلوب وميه •

والنون مرققة فمن الخطأ تفخيمها فى مثل مينا وأنطون وأنطاكية •

والهاء مرققة فمن الخطأ تفخيمها فى نحو هطل وهبط وأنهار •

والواو كذلك مرققة ومن الغلط تفخيمها فى شوط وخوض وصوت •

والياء مرققة أيضا ومن الخطأ تفخيمها فى نحو دمياط وعياط وأطيان •

وكل هذه الأغلاط تمر بالسمع ولا يحس بها الا من يعرف مخارج الحروف وصفاتها فتنبه لذلك ، واحذر من الوقوع فيه اذا كنت حريصا على اتباع سنة العرب •

ترتيب حروف الهجاء

جرت العادة من قديم أن نذكر حروف الهجاء فى التعليم مرتبة ليحفظها المتعلم ويسردها متى طلب منه ذلك ولها ثلاثة تراتيب .

الأول — الترتيب القديم المعروف عند أكثر الأمم ولا سيما الأمم السامية كالسريانيين والعبرانيين وهو ترتيب أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ ، وهذه الألفاظ لم يقصد منها الا جمع الحروف فى كلمات سهلة الحفظ وليست أسماء أشخاص كما قيل

وللمغاربة فيها ترتيب يختلف قليلا عن هذا فيقولون أبجد هوز حطى كلمن صعفض قرست ثخذ ظغش ومعنى هذا الاختلاف أن المغاربة يروون الترتيب عن الأمم القديمة على خلاف ما يرويه عنهم المشارقة .

والثانى — ترتيب مخارج الحروف بالابتداء من الصدر ذاهبا الى الشفتين وهو كما تقد لنا ا و ى (أى حروف المد) ء ه ع ح غ خ ق ك ج ش ى ض ل ر ن ط د ت س ز ظ ذ ث ف ب م و وقد جرى على هذا الترتيب الخليل وسيبويه وابن سيده فى كتاب المحكم ولكن مع تساهل قليل فترتيب الخليل فى كتاب العين هكذا : (١) .

---

(١) كتاب العين هو أول كتاب ألف فى متن اللغة جمع فيه صاحبه ١٢٫٣٠٥٫٤١٢ كلمة بعضها مستعمل وبعضها مهمل والذى حدا به لذكر المهمل استيفاء التقاسيم العقلية لكل كلمة فمثلا كلمة (مدح) يحتمل فى الميم الفتح والضم والكسر ويحتمل فى الدال الحركات الثلاث والسكون وثلاثة فى أربعة باثنتى عشرة فيذكر الاثنتى عشرة صورة ويقول هذه الصورة مستعملة لمعنى كذا وهذه الصورة لم تستعملها العرب واختصره أبو بكر الزبيدى فحذف المهمل وانما سمى كتاب العين من باب تسمية الشىء بأول أجزائه كما سمى كتاب أبى تمام بالحماسة . قال الخليل فى كتابه المذكور لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف ولا بالألف لأنها لا تكون فى ابتداء كلمة ولا فى اسم ولا فعل الا زائدة أو مبدلة ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت الى الحيز الثانى وفيه العين والحاء فوجدت العين أنضع الحرفين فابتدأت بها ليكون أحسن فى التأليف ا هـ .

ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ى وترتيب صاحب المحكم مثله الا أنه جعل حروف العلة هكذا ا ى و

وترتيب سيبويه هكذا : ء هـ ع ح خ غ ق ك ض ج ش ل ر ن ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف ب م ى ا و

قال ابن خروف ان سيبويه لم يقصد ترتيبا فى الحروف التى من مخرج واحد (١) .

والثالث ترتيب نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدوانى فى زمن عبد الملك ابن مروان وهو الترتيب الذى عليه العمل الآن فى البلاد العربية وجرى عليه أصحاب الصحاح والقاموس ولسان العرب وغيرهم والمقصود منه ضم كل حرف الى ما يشبهه فى الشكل فابتدءآ بالألف والباء لأنهما أول الحروف فى ترتيب أبجد وعقبا بالتاء والثاء لمشابهتهما الباء ثم ذكر الجيم من حروف أبجد وعقبا بالحاء والخاء للمشابهة ثم ذكرا الدال وعقبا بالذال ولكون الهاء تشبه أحرف العلة فى الخفاء أخراها معها لآخر الحروف وقبل أن يذكرا الزاى ذكرا الراء المشابهة لها لتكون الزاى مع باقى أحرف الصفير ولذلك ذكرا السين بعد الزاى وعقبا بالشين للمشابهة ثم ذكرا الصاد وعقبا بالضاد ثم رجعا للطاء من أبجد وعقبا بالظاء وأخرا أحرف كلمن حتى يفرغا من الأحرف المتشابهة وذكرا العين وعقبا بالغين ثم ذكرا الفاء وعقبا بالقاف ثم ذكرا أحرف كلمن والهاء وأحرف العلة .

ولكون ترتيب أبجد يختلف عند المغاربة عن ترتيبها عند المشارقة كان ترتيب الحروف عند المغاربة بعد أن ضم كل حرف الى ما يشابهه فى الشكل هكذا :

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و ى .

---

(١) ابن خروف هو محمد بن على القرطبى القيسى شارح كتاب سيبويه توفى بحلب سنة ٦٠٥ وله شعر رائق فمن شعره فى وصف النيل قوله

ما أعجب النيل ما أبهى شمائله	فى ضفتيه من الأشجار أدواح
من جنة الخلد فياض على ترع	تهب فيها هبوب الريح أرواح
ليست زيادته ماء كما زعموا	وانما هى أرزاق وأرباح

خواص الحروف العربية

للحروف العربية خواص لم تجتمع فى غيرها من حروف اللغات الأخرى وان وجد بعضها فلا يوجد الآخر والقصد من سردها بيان احكام وضع الحروف العربية لا الحط من شأن حروف اللغات الأخرى وهى :

(١) ان مسمياتها دائما فى صدور أسمائها فصدر كلمة ألف (ء) وصدر كلمة باء (ب) وصدر كلمة جيم (ج) وهكذا لآخر الحروف بخلاف اللغات الافرنكية مثلا فان مسمياتها تارة تكون فى صدورها كبى سى دى وتارة تكون فى أعجازها كاف ال ام ان ار اس وتارة تكون عين الاسم كاكس وتارة تكون خارجة عن الاسم بالمرة كآش أو اتش •

(٢) ان كل حرف لفظى بسيط له حرف كتابى بسيط بخلاف اللغات الافرنكية مثلا فان الشين تكتب فيها CH أو SCH والفاء تكتب فى بعض الأحيان PH والألف الممالة تكتب أحيانا Al والهمزة المضمومة تكتب OU وألف التفخيم تكتب أحيانا AU وأحيانا EAU

(٣) عكس ذلك وهو أن كل حرف كتابى بسيط له صوت بسيط بخلاف اللغات الافرنكية مثلا فان حرف X ينطق به كس وحرف Z ينطقها الألمانيون تس والطليانيون تز •

(٤) ان كل حرف صوتى يصور بصورة واحدة مهما كانت حركته وتميز الحركة بالشكل بخلاف اللغات الأفرنكية فان الفاء فيها تارة تصور F وتارة PH والسين تارة تصور S وتارة ç وتارة X والكاف تصور K وتارة Q .

والألف اليابسة فى العربيـة همزة الا على شىء كملء ورده أو على ألف كرأس أو واو كسؤل أو ياء كذئب وفى الأفرنكية تكتب هكذا :

a â i y ou o au eau e é è ê ai ay u e eu œu.

ولكل حرف من حروف اللغة الحبشية صور متعددة بقدر عدد حركاتها ولا يختص ذلك بالألف اليابسة بل يشمل غيرها من الحروف •

ويستثنى من ذلك الألف اللينة فانها تكتب أحيانا ياءً وذلك فى ألفاظ محصورة : الى على بل حتى أنثى متى لدى الأولى موسى عيسى كسرى بخارى

وكل ثلاثى أصل ألفه ياء كرمى الفتى وسعى للأذى ، وكل ما زاد عن ثلاثة أحرف كأعطى مصطفى واقتفى الهدى ومن العلماء من لم يستثن ذلك •

(٥) عكس ذلك وهو أن كل صورة كتابية لها نطق واحد بخلاف الافرنكية مثلاً فان حرف C تارةً ينطق به سينا وتارةً زايا وحرف تارة ينطق به سينا وتارةً كافا وحرف T تارةً ينطق به تاء وتارةً سينا الى غير ذلك مما لا يخفى على المطلع ويستثنى من ذلك الياء فانها ينطق بها فى بعض الأحيان ألفا كما قدمنا وبعض العلماء لا يستثنيها كما أسلفنا •

(٦) ان ما يقدم فى الكتابة يقدم فى النطق وما يؤخر فيها يؤخر فيه بخلاف اللغة الفرنسية مثلاً فان النون فى لفظ كنياك ومنيتزم مع تقديمها فى التلفظ على الياء تؤخر فى الكتابة عن الحرف الموضوع بدل الياء وهكذا وفى لام الألف المضفورة هكذا Y خلاف • قال الأخفش أن الجزء الأيمن هو اللام والأيسر هو الألف والجمهور على عكس ذلك والذاهب الى اليمين من الألف هو جزؤها الأعلى فقط ولكن العبرة بأسفلها •

(٧) انه لا يهمل من الحروف المكتوبة شيء بل كل ما يكتب يقرأ مع مراعاة الابتداء والوقف بخلاف اللغات الأجنبية فان الكلمة يوجد فيها حرف أو حرفان أو ثلاثة لانطق لها ككلمة بثوت الانكليزية بمعنى اشترى فانها تكتب BOUGHT ففيها ثلاثة أحرف لاينطق بها وكلفظ نيبر الانكليزية بمعنى جار فانها تكتب NEIGHBOUR ففيها ثلاثة أحرف لا لفظ لها • ويستثنى من ذلك الألف بعد واو الجماعة فانها زائدة نحو كلوا واشربوا ولا تسرفوا وفى الروى المفتوح نحو لكل امرىء من دهره ما تعودا والواو فى عمرو •

(٨) العكس وهو أنه لا يهمل شيء من الحروف الملفوظ بها بل يكتب كل ما يلفظ به بخلاف الانكليزية مثلا كلفظ كرنل فانها تكتب COLONEL ولا وجود لحرف الراء وكلفظ لفتننت LIEUTENENT فايهم لا يكتبون فيه الفاء • ويستثني من ذلك الألف فى ألفاظ معروفة كثيرة الاستعمال مثل الله ، الرحمن ، الاله ، ذلك ، هذا لكن ، والواو فى داود وطاوس ونحوهما •

(٩) صلاحيتها للحساب بدل الأرقام حتى كأنها وضعت لهذا القصد لأن فيها تسعة أحرف للآحاد وتسعة للعشرات وتسعة للمئين وحرفا للألف •

فللآحاد

ا	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩

وللعشرات

ى	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠

وللمئين

ق ر ش ت ث خ ٧٠٠ ٨٠٠ ٩٠٠
١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠ ٦٠٠

وللألف غ
١٠٠٠

واذا زاد عن ألف كرروا الحروف فخمسة آلاف هغ وأربعون ألفا مغ

وعند المغاربة للآحاد أ ب ج د هـ و ز ح ط

وللعشرات ى ك ل م ن ص ع ف ض
٦٠ ٩٠

وللمئين ق ر س ت ث خ ذ ظ غ
٣٠٠ ٨٠٠ ٩٠٠

وللألف ش
١٠٠٠

بل فضلها بعضهم على الأرقام لسهولة الحفظ وللاختصار وعلى ذلك جرى علماء الفلك وأصحاب الأزياج الى الآن ، الا فيما هو منقول عن أوربا فيقولون ان بعد منطقة البروج عن دائرة المعدل كج كح أى ٢٣ درجة و٢٨ دقيقة .

واذا كتبت مو ، كه ، لز ، يب ، كان معنـاه ٤٦ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ١٢ ولا يحصل ضرر من تقارب الحروف كما يحصل من تقارب الأرقام .

من تقارب الحروف كما يحصل من تقارب الأرقام .

وقد ألف المتقدمون أراجيز وقصائد فى علم الفلك استعملت فيها الحروف بدل الأرقام ولولا ذلك ما سهل حفظها والانتفاع بها فمن ذلك قول بعضهم

فى منظومة طويلة يضبط أرصاد ابن يونس الفلكى المصرى رئيس المرصد الحاكمى ٠

دقائق اختلاف رأس الجدى لب　　وخمسة فزد لها وما عقب
الى ابتداء السرطان فهى سب　　ومنه فانقص خمسة لعود لب
فذى الدقائق التى تزاد فى　　نصف لقوس من نهار فاعرف

ودقائق الاختلاف هى الفرق بين مرور الشمس بالأفق المرئى وبين مرورها بالأفق الحقيقى ولا يخفى أن الأفق المرئى أسفل مر الأفق الحقيقى الذى يقسم الكرة الى قسمين متساويين ٠

ومن استعمالها فى الحساب ضبط تواريخ الحوادث الشهيرة بألفاظ لطيفة قصيرة كقول السيد على الليثى فى تاريخ ميلاد الجناب الخديوى ٠

توفيق باشا بكره العباس

أى سنة ١٢٩١ هـ وقد سئل بعض الظرفاء عن تاريخ موت السلطان برقوق فقال : فى المشمش ومعنى ذلك أنه مات سنة ٨٠١ ٠

ولها استعمال آخر فى الحساب بمراعاة المهمل والمعجم بقطع النظر عن حساب الجمل مثال ذلك ما يذكر فى علم الميقات من أن فى كل ثلاثين سنة هجرية احدى عشر سنة كبيسة عدد أيامها ٣٥٥ يوما وهى الثانية والخامسة والسابعة والعاشرة والثالثة عشرة والخامسة عشرة والثامنة عشرة والحادية والعشرون والرابعة والعشرون والسادسة والعشرون والتاسعة والعشرون نظمها بعضهم فقال :

كف الخليل كفه ديانه　　عن كل خل حبه فصانه

فالحرف المهمل يدل على السنة البسيطة والمعجم يدل على السنة الكبيسة والبيت كله ثلاثون حرفا فيه أحد عشر حرفا معجما مرتبة ترتيبا مخصوصا فاذا سئلت عن سنة ١٣٢٨ أبسيطة هى أم كبيسة فاطرح سنى التاريخ ثلاثين ثلاثين فيبقى ثمانية مر بها حروف البيت فثامن حرف وهو اللام الأخيرة من خليل بسيطة فالسنة المذكورة بسيطة ٠

مثال آخر يقال ان ملاحا كان فى سفينته ثلاثون مسافرا نصفهم من بلده والباقون غرباء وبينما هم فى عرض البحر اذ اشتد عليهم النوء وأشرفت سفينته على الغرق وتأكدوا أن لا نجاة لهم الا اذا ألقى نصفهم فى البحر ولكنهم لم يتفقوا على طريقة عادلة فتأمل الملاح لترتيبهم فى الجلوس وقال الطريقة أن نعد من واحد الى تسعة ونرمى التاسع وهكذا حتى نرمى نصف الموجودين فلم يعارضوا ظنا منهم أن ذلك موكول للمصادفة ففعل ذلك وخرج فى القرعة جميع الغرباء ولم يلق أحد من أبناء جنسه فكيف كان ترتيب جلوسهم ؟

الجواب أن ترتيبهم كان كترتيب حروف هذا البيت .

الله يقضى بكل يسر ويرزق الضيف حيث كان

فالحرف المعجم يدل على الغريب والمهمل يدل على القريب .

(١٠) أنها تكتب وتقرأ من اليمين الى اليسار كالسريانية والعبرانية بخلاف الحروف الأفرنكية فانها تكتب وتقرأ من اليسار الى اليمين وبخلاف الحروف المصرية القديمة (الهيروغليفية) فانها وان بدىء بها من اليمين فى أول سطر يجوز أن يبدأ فى السطر الثانى من اليسار وهكذا يبدأ كل سطر من حيث انتهى السطر الذى قبله وبخلاف الحروف الصينية فانها تكتب من أعلى لأسفل وليس غرضنا تفضيل اليمين على اليسار بل بيان الاصطلاح العربى فى ذاته .

(١١) ان كل حرف من حروفها صالح لأن يتصل به ما قبله وما بعده الا سبعة حروف ليست صالحة لأن يتصل بها ما بعدها يجمعها قولك (زُرْ ذَا ودٍّ) وبسبب صلاحية الحروف للوصل كتبت حروف كل كلمة متصلة بعضها ببعض وانفصلت كل كلمة عن الأخرى[1] وبذلك يستغنى عن رسم خط رأسى بين كل كلمة وأخرى كما فى الخط المسند أو ترك جزء من القرطاس أبيض كما فى الخطوط الأفرنكية وسبب رسم الخط أو ترك البياض انفصال الحروف

(١) سواء أكانت الكلمة حقيقية نحو كل مجتهد فائز أو فى حكم الكلمة الواحدة نحو قمت وقمنا وأكرمتهما وبعلبك والاربعمائة. والقاعدة ان الكلمة التى لا يصح الابتداء بها كالضمير المتصل أو لا يصح الوقف عليها كأول المركب المزجى تعتبر كجزء كلمة .

بعضها عن بعض فلا يعلم أن الكلمة انتهت وابتدأ غيرها الا بعلامة ، ولهذا السبب تكون الكتابة العربية أقرب للاختزال وأبعد عن الاسراف .

(١٢) أنك اذا قطعت النظر عن أحرف المد تجد الباقى ٢٨ حرفا يمكن أن يتألف منها أكثر من اثنى عشر ألف كلمة ، كما يتضح لك ذلك من الاطلاع على كتاب العين للخليل بن أحمد ، وبذلك اتسع مجال الوضع وبعدت الألفاظ عن الاشتباه والاشتراك بقدر الامكان ، بخلاف اللغات الأفرنكية مثلا فانك اذا قطعت النظر عن حروف الحركات تجد الباقى تسعة عشر حرفا وبذلك كان مجال الوضع ضيقا وعدد ألفاظها أقل ويكثر فيها الاشتباه والاشتراك . ولذلك كان من الضرورى فيها اكثار الحركات ليمكن بمراعاتها تأليف كلمات كثيرة من الحروف القليلة وتسد بذلك جزءا من النقص الطبيعى الذى نشأ من قلة حروفها .

وليس غرضنا من تعديد هذه المزايا لحروف اللغة العربية الحط من شأن غيرها من اللغات أو تثبيط همم المشتغلين بها . معاذ الله . وانما غرضنا الرد على المفتونين ببعض اللغات الأجنبية الجاهلين بالعربية فى زعمهم أن العربية أصعب مراسا وأبعد منالا ، وهم لو أعطوها من العناية ربع ما أعطوه لغيرها لعرفوا أنها فى غاية الاحكام وعلى طرف التمام .

تاريخ الخط العربي

« قبل الاسلام »

الخط من الصناعات المدنية التى تقوى بقوة الحضارة وتضعف بضعفها وتنعدم بانعدامها . والعرب قبل الاسلام كانوا أمة بدوية لا يهمهم الا تربية الابل والشاء وانتجاع الكلأ لرعايتها وشيء يسير من التجارة لجلب الأقوات والثياب والسلاح اللازم لاقامتهم فى البوادى معرضين لافتراس الوحوش الضارية واغارات السالبين والآخذين بالثأر وحماية القوافل التجارية . ومثل هذه المعيشة لا يقتضى انتشار الكتابة والقراءة ، واذا وجد فيهم من يكتب ويقرأ فانما هو نزيل هبط اليهم أو آيب من سفر بعد طول اقامة فى أرض متحضرة أو آخذ عن هذين وهو نادر .

وأول من عمل على نشر الخط فيهم بطريقة عامة سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم بعد مهاجره الى المدينة ، فقد أسر فى غزوة بدر سبعين رجلا من قريش وغيرهم ، فيهم كثير من الكتاب ، فقبل من الأميين الافتداء بالمال وجعل فدية الكاتبين منهم أن يعلم كل واحد منهم عشرة من صبيان المدينة ، ففعلوا ذلك وانتشر الخط بالتدريج من هذا الحين فى المدينة والأمصار التى دخلت فى حوزة الاسلام ، وبقيت الأمية فى البوادى فكان الأعرابى يقرع الأسماع برائع الشعر وفائق النثر وهو لا يعرف حروف الهجاء ولا أسماء أوجه الاعراب

قيل لأبى حية النميرى أنشدنا قصيدة على الكاف فارتجل قصيدة أولها :

كفى بالنـــاس من أسماء كاف وليس لبعدها ان طال شاف

وسمع أعرابى ينشد : نحن بنى علقمة الأخيار فقال له بعض المشتغلين بالنحو : لم نصبت بنى علقمة ؟ فقال : ما نصبتهم لشيء .

وسئل أعرابى : أتهمز اسرائيل . فقال انى اذا لرجل سوء . فهم من الهمز الضغط والعصر . وسئل آخر : أتجر فلسطين فقال : انى اذا لقوى .

والتحقيق أن الخط من وضع البشر ، وأنه لم يصل الى ما هو عليه الآن الا بعد أن قطع أربعة أدوار :

الأول : الدور الصورى المادى •

والثانى : الدور الصورى المعنوى •

والثالث : الدور الصورى الحرفى •

والرابع : الدور الحرفى الصرف •

وذلك أن الناس فى أول الأمر كانوا يرسمون صــور الماديات للدلالة عليها فاذا أرادوا أن يدلوا على معنى الأسد رسموا صورة أسد واذا قصدوا الدلالة على معنى النخل رسموا صورة نخلة واذا راموا الدلالة على معنى المعبد رسموا صورة معبد وهلمّ جرًّا • واذا أرادوا أن يذكروا أن ملك مصر حارب الأشوريين وغلبهم وأخذ منهم أسرى رسموا صورة ملك مصر بالعلامة المصطلح عليها ومعــه جنود مدججون بالسلاح ورسموا صورة ملك أشور بعلامته المصطلح عليها ومعــه جنده بعضهم واقع على الأرض مضرّجا بالدم وبعضهم واقع تحت سنابك الخيل وبعسهم مولون الأدبار ورسموا جملة من الجند مربوطين بالسلاسل يقودهم جندى مصرى • ولكن الكتابة بهذه الطريقة ناقصة لأن من المدلولات ما لا صورة له ماديا كالخوف والحزن والفرح والنسب الاضافية والتوصــيفية والنسب الكلامية التى تتصور بين الموضوع والمحمول ، فكان الخط شيئا خيرا من لاشىء • ثم بدا لهم بعد زمن أن يدلوا على المعانى التى لا صور لها بصور لوازمها كأن يرسموا الدواة والقلم للدلالة على معنى الكتابة والشعر المسدول للدلالة على الحزن وضخامة الجسم للدلالة على غنى صاحبه • فكانت الكتابة فى هذا الدور تتألف من صور ماديات للدلالة عليها وماديات أخرى للدلالة على ملزوماتها من المعانى • وذلك مشاهد كثيرا فى الرسوم المصرية القديمة بل هو مشاهد الآن فى القرى بين الأميين فاذا حجّ واحد منهم الى مكة رسموا له على باب داره صورة محمل فوق جمل زمامه بيد أعرابى ورسموا جملا آخر عليه هودج وربما رسموا سفينة بجانب الجمل للدلالة على أن صاحب المنزل حج وسافر فى

البر والبحر . بل فى الأمصار بين الكاتبين كما فى صحف السياسة المصورة. ثم ترقوا الى الدور الحرفى بواسطة الصور فاصطلحوا على استعمال صور للدلالة على الحروف التى فى صور أسمائها ، فاذا قصدوا أن يكتبوا لفظ « غلب الروم » صوروا غربا وليموية وبابا وتفاحة وابريقا وليمونة ورحى ووردة ومبردا وهكذا من الأمثلة . وكل قوم اصطلحوا على صور مخصوصة بقدر عدد حروف لغتهم ، ثم اختصروا تلك الصور مع مرور الأيام حتى صارت علامات لا تدل الا على أصوات الحروف كما هو الشأن الآن .

والخطوط المستعملة الآن فى الدنيا كثيرة جدا ولكنها ترجع الى أمهات قليلة ، والمعروف من الأمهات لهذا العهد أربعة :

الخط المسمارى الذى كان مستعملا فى بابل وأشور وما حولهما وقد انقرض الآن .

والخط الخيثى الذى كان مستعملا قديما فى الشام وانقرض ، وعد بعض الافرنج من فروعه الخط الحميرى والحبشى وليس بصواب .

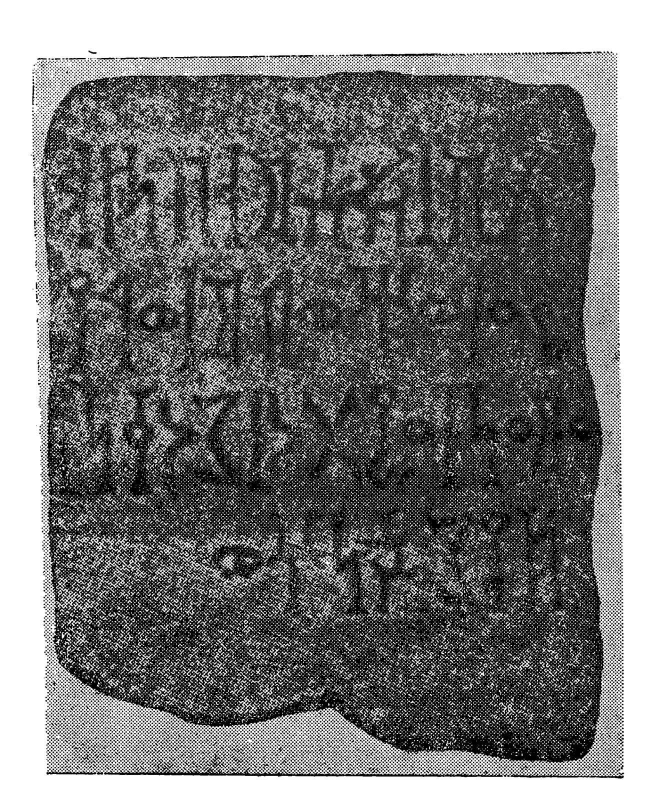
والخط الصينى وهو مستعمل للآن ومن فروعه الخط اليابانى والمغولى.

والخط المصرى ومن فروعه الفينيقى ومن الفينيقى تفرع أكثر الخطوط المستعملة فى آسية وافريقية وأوربا .

والذى يهمنا من هذه الأصول الأربعة هو الأصل المصرى ، لأنه أول حلقة من سلسلة الخط العربى كما سيتضح لك بعد .

ولم تكن جزيرة العرب قبل الاسلام خلوا من الحضارة بالمرة بل كان لها حضارة فى أطرافها وحواليها أما وسطها فبقى على بداوته الى أن جاءت حضارة الاسلام ، والذين تحضروا فى أطراف الجزيرة وحواليها لم يكن لهم هذا الخط العربى المعروف بل أخذوا خطوط الأمم التى ورثوها أو خالطوها .

فعرب اليمن وأشهرهم حمير وسبأ ومَعين كانوا يكتبون بالخط المسند المأخوذ عن الفينيقيين وشكله هكذا :



شكل رقم ١

والعرب الرعاة الذين ملكوا مصر على عهد ابراهيم ويوسف وموسى كانوا يكتبون بالخط المصرى القديم وشكله هكذا :

(محبوب فتاح)　　حور محب　　أمنحوتب

سيتى　　رمسيس　　أو هورس　　خون اتن



شكل رقم ٢

والنبط الذين ملكوا مدين وخليج العقبة والحجر وفلسطين وحوران كانوا يكتبون فى أول أمرهم بالخط الآرامى وشكله هكذا :



شكل رقم ٣

وتوضيحه هكذا :

شكل رقم ٤

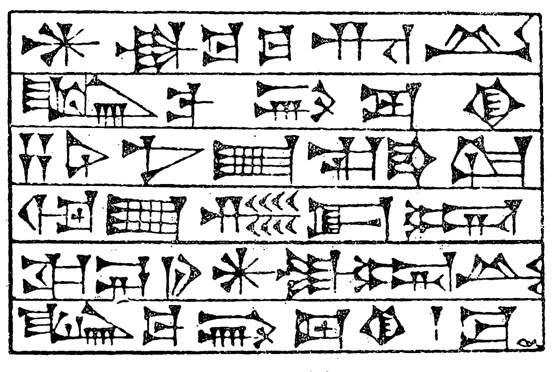
ثم تنوع خطهم وصار خطا نبطيا مخصوصا .

« أنظر شكل رقم ٥ »

شكل رقم ٥

وسكان بابل الذين تغلبوا على السامرة وورثوا ملكهم ونشأ منهم حمورابى الفاتح الكبير والمشرع العظيم صاحب القانون المكتشف فى بلاد سوس مكتوبا على عمود مربع (مسلة) وكان لاكتشافه دوى هائل فى أوربا

كانوا يكتبون بالخط المسمارى الموروث عن السامرة وشكله هكذا :



شكل رقم ٦

وأهل تدمر وأشهر ملوكهم أُذَينة وزوجته زنوبيا كانوا يكتبون بنوع من الآرامية يختلف قليلاً عن الآرامى المعتاد .

وأهل غسان كانوا يكتبون بالرومية أو العبرية .

أما المناذرة فكانوا يكتبون بالخط الحيرى وهو الذى اتصل بأهل الحجاز قبيل الاسلام .

سلسلة الخط العربى

أول حلقة من سلسلة الخط العربى هو الخط المصرى القديم وهو ثلاثة أنواع .

أولها الخط المصرى المقدس (هيروغليف) وهو الذى كان خاصا بالكهان وخدمة الدين لا يعرفه غيرهم الا ندورا .

وثانيها خط الخاصة (هيراطيق) وهو خط عمال الدواوين وكتاب الدولة

وثالثها خط العامة (ديموطيق) وهو خط الكاتبين من الشعب وهو أبسط الأصناف الثلاثة .

وثانى حلقة من سلسلة الخط العربى الخط الفينيقى نسبة الى فينيقيا وهى أرض كنعان على ساحل البحر الأبيض بمحاذاة جبل لبنان ، والفينيقيون كانوا أكثر الناس اشتغالا بالتجارة ومخالطة للمصريين فتعلموا حروف كتابتهم

ثم وضعوا لأنفسهم حروفا خالية من التعقيد لاستعمالها فى المراسلات التجارية وقد أخذوا من حروف المصريين خمسة عشر حرفا مع تعديل قليل كما قال الأثرى الشهير ماسپرو فى كتابه تاريخ المشرق ، وأضافوا اليها باقى الحروف فكونوا كتابة سهلة اشتهرت بواسطتهم فى آسية وأوربا ووضعوا للحروف أسماء تشبه مسمياتها الأصلية أشكال الحروف .

وهاك جدولا بالحروف الفنيقية وأسمائها ومسمياتها الأصلية مع ما يقابلها من الحروف المصرية .

شكل رقم ٧

	مصرى مقدس	مصرى للخاصة	مصرى للعامة	فينيق	اسماء فينيقية	مسميات أصلية
ا					ألاف	ثور
ب					بيث ×	بيت
ج					جومل	جمل
د					دُلات	باب
ه					ها ×	اسم اشارة والعلامة أن تعقد لها اليد
و					واو	مسمار بزاوية
ز					زين	حربة أو سلاح
ح					حط ×	حائط أو سياج
ط					ططا ×	حية
ى					يوُد	يد
ك					كاف	كف
ل					لامد	سبع
م					ميم	ماء
ن					نون	سمكة
س					سامك	دعامة
ع					عين	حاسة البصر
ف					فا ×	فم
ص					صادى	فخ أو منجل
ق					قوُف	أذن
ر					ريش	رأس
ش					شين	سن
ت					تاو	صليب يعلق على أفخاذ الابل

وثالث حلقة من سلسلة الخط العربى الخط الآرامى أو المسند على خلاف بين مؤرخى أوروبا ومؤرخى العرب .

شكل رقم ٧

ملخص رأى المؤرخين الأوربيين أن الخط الفينيقى تولد منه أربعة خطوط وهى :

١ – اليونانى القديم ومنه تولدت خطوط أوربا كلها والخط القبطى .

٢ – والعبرى القديم ومنه الخط السامرى نسبة الى سامرة نابلس .

٣ – والمسند الحميرى ومنه تولد الخط الحبشى .

٤ – والآرامى ومنه تولدت ستة خطوط .

أولها الهندى بأنواعه المختلفة .

وثانيها الفارسى القديم (الفهلوى) (١) .

وثالثها العبرى المربع .

ورابعها التدمرى .

وخامسها السريانى .

وقالوا ان الخط العربى قسمان كوف ونسخى فالكوفى مأخوذ من نوع من السريانى يقال له السطرنجيلى والنسخى مأخوذ من النبطى – وعلى هذا الرأى يكونون قد نفوا المسند من سلسلة الخط العربى وأثبتوا السريانى مع النبطى فى آخر حلقة منها وجعلوا الخط العربى نوعين كوفيا ونسخيا .

وهاك جدولا بالفروع المعروفة من الفينيقى .

---

(١) نسبة الى فهلا وهى البقعة التى فيها همدان وأسفهان وأذربيجان والرى وماء نهلاوند . ا هـ .

	یونانی قدیم	مسند حمیری	آرامی قدیم
ا			
ب			
ج			
د			
ه			
و			
ز			
ح			
ط			
ی			
ک			
ل			
م			
ن			
س			
ع			
ف			
ص			
ق			
ر			
ش			
ت			

شکل رقم ۸

سریانی عادی	سطرنجیلی	نبطی	تدمری	فارسی رقاع	فارسی قدیم	عبری عادی	عبری مربع
ܐ	ܐ					א	א
ܒ	ܒ					ב	ב
ܓ	ܓ					ג	ג
ܕ	ܕ					ד	ד
ܗ	ܗ					ה	ה
ܘ	ܘ					ו	ו
ܙ	ܙ					ז	ז
ܚ	ܚ					ח	ח
ܛ	ܛ					ט	ט
ܝ	ܝ					י	י
ܟ	ܟ					כ	כ
ܠ	ܠ					ל	ל
ܡ	ܡ					מ	מ
ܢ	ܢ					נ	נ
ܣ	ܣ					ס	ס
ܥ	ܥ					ע	ע
ܦ	ܦ					פ	פ
ܨ	ܨ					צ	צ
ܩ	ܩ					ק	ק
ܪ	ܪ					ר	ר
ܫ	ܫ					ש	ש
ܬ	ܬ					ת	ת

شکل رقم ۹

رأى مؤرخى العرب

أهم حواضر الحجاز مكة ويثرب (المدينة) .

أما مكة فالمؤرخون مجمعون على أن أول من حمل الكتابة اليها حرب ابن أمية عبد شمس وكان قد تعلمها فى أسفاره من عدة أشخاص منهم بشر بن عبد الملك أخو اكيدر صاحب دومة الجندل ، وقد حضر بشر الى مكة مع حرب وتزوج الصهباء ابنته وعلم جماعة من أهل مكة ثم ارتحل .

وبوساطة بشر بن عبد الملك وحرب بن أمية تعلم عدد كثير من أهل مكة منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وطلحة وأبو عبيدة ومعاوية ويزيد ابنا أبى سفيان .

وأما المدينة فقد قرر أهل السير أن النبى صلى الله عليه وسلم دخلها وكان فيها يهودى يعلم الصبيان الكتابة وكان فيها بضعة عشر من الرجال يعرفون الكتابة منهم سعيد بن زرارة والمنذر بن عمرو وأبى بن وهب وزيد ابن ثابت ورافع بن مالك وأوس بن خولى .

ولم تنتشر الكتابة الا بعد غزوة بدر فقد أسر المسلمون فى هذه الغزوة أكثر من سبعين رجلا ولما أراد الأسرى افتداء أنفسهم بالمال قبلت الفدية من الأميين وجعلت فدية الكاتب منهم تعليم عشرة من صبيان المدينة كما قدمنا ، فتعلم بهذه الوساطة خلق كثير من أولاد المدينة وانتشرت الكتابة بعد ذلك فى الأمصار والقرى .

ولكون بشر بن عبد الملك علم حرب بن أمية وعددا من أهل مكة قال شاعر من كندة من أهل دومة الجندل يمن على قريش :

(١)لا تجحدوا نعماء بشر عليكمو فقد كان ميمون النقيبة أزهرا

أتاكم بخط الجزم حتى حفظتمو من المال ما قد كان شتى مبعثرا

---

(١) فى هذا البيت خرم وهو حذف أول الوتد المجموع .

وأتقنتمو ما كان بالمال مهملا   وطامنتمو ما كان منه منفرا
فأجريتم الأقلام عودا وبدأة   وضاهيتمو كتاب كسرى وقيصرا
وأغنتيمو عن مسند القوم حميرا   وما زبرت فى الكتب أقيال حميرا

واختلفوا فى أول من وضع الكتابة العربية •

قال ابن عباس هم ثلاثة من طيىء من قبيلة بولان سكنت الأنبار وعلموا أهلها وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة ، فالأول وضع الحروف والثانى فصل ووصل والثالث وضع الاعجام ، وسموا هذا الخط بالجزم لأنه مقتطع من الخط الحميرى •

وفى رواية عن ابن عباس أن أهل الانبار تعلموا من أهل الحيرة ، وروى عن غيره العكس ، فلعل أهل البلدين كانوا يتقارضون التعلم •

وقال المسعودى ان بنى المحصن بن جندل بن يعصب بن مدين هم الذين نشروا الكتابة ، وأسماؤهم : أبو جاد ، هواز ، حطى ، كلمون ، سعفص ، قرشيات ، وكانوا ملوك مدين ومصر وقد هلكوا يوم الظلة بنار نزلت من السماء بدعوة شعيب عليه السلام ، وفى ذلك تقول جارية ابنة كلمون ترثى أبا سيدتها :

كلمون هد ركنى   هلكه وسط المحلة
سيد القوم أتاه الـ   حتف نارا وسط ظله
كونت نارا فأضحت   دار قومى مضمحلة

والذى يتبادر للسامع أن هذه الرواية حديث خرافة وستعلم فيما يأتى أن لها وجها من الصحة وظلا من الحقيقة • وفى واقعة الظلة يقول النضر بن المنذر:

ألا يا شعيب قد نطقت مقالة   أتيت بها عمرا وحى بنى عمرو
همو ملكوا أرض الحجاز بأوجه   كمثل شعاع الشمس فى صورة البدر
وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا   قطورا وفازوا بالمكارم والفخر
ملوك بنى حطى وسعفص فى الندى   وهواز أرباب الثنية والحجر

والذى قاله المسعودى مروى أيضا عن هشام بن الكلبى •

وروى عن مكحول أن أول من وضع الخط نفيس ونضر وتيماء ودومة من ولد اسماعيل عليه السلام •

وقال عمر بن شبة انه رجل من بنى مخلد بن النضر بن كنانة •

وفى السيرة الحلبية أنه نزار بن معد بن عدنان •

وفى رواية أخرى أنه اسماعيل عليه السلام ، وأن الحروف كانت متصلة حتى الألف والراء ففرقها من بعده (هميسع وقيذار من ولده) •

وفى سيرة ابن هشام أنه حمير بن سبأ •

وعن ابن عباس أن اليمانين تلقوا الخط المسند المتصل عن كاتب هود عليه السلام •

وروى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبيه أنه قال قلت لابن عباس من أين أخذتم معاشر قريش هذا الكتاب العربى قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق • قال أخذناه عن حرب بن أميــة • قال فممن أخذه حرب قال من عبد الله بن جدعان • قال فممن أخذه ابن جدعان قال من أهل الأنبار • قال فممن أخذه أهل الأنبار قال من أهل الحيرة • قال فممن أخذه أهل الحيرة قال من طارىء طرأ عليهم من اليمن من كندة • قال فممن أخذه ذلك الطارىء قال من الخفلجان كاتب الوحى لهود عليه السلام •

والذى يتخلص من مجموع هذه الروايات أن الكتابة وصلت الى عرب الحجاز من أهل الحيرة وأهل الأنبار (بلد مرامر وأسلم وعامر) على يد عبد الله ابن جدعان وبشر بن عبد الملك معلمى حرب بن أمية ، وأن أهل هذين البلدين كانوا يتقارضون التعليم فيأخذ بعضهم عن بعض وأن الكتابة وصلت الى هذين البلدين من عرب كندة (وهم بطن من كهلان) ومن النبط ملوك مدين وسينا وفلسطين وحوران • ولكونهم كانوا يلهجون فى صغرهم وقت التعليم بكلمات أبى جاد وهواز وحطى وكلمون وسعفص وقرشيات ظن بعض العامة أنها أسماؤهم وسرى ذلك الوهم الى رواة الأخبار فأخذوه قضية مسلمة بلا تثبت ولا تحقيق كما ظننت العامة فى الأنبار أن هــذه الكلمات أسماء

آل مرامر معلم الكتابة فيها لكثرة ما كان يرددها فى كلامه فنقلوا هذا الوهم لأعراب الحجاز فتلقوه بلا تمحيص ، ولذلك قال الشاعر :

تعلمت باجاد وآل مرامر وسودت سربالى ولست بكاتب

ولهذا السبب استعمل العرب كلمة أبى جاد استعمال الكنى فقالوا حفظت أبا جاد وحفظ أبو جاد ولم أهتم بأبى جاد . وقد روى عن عمر ابن الخطاب أيه لقى أعرابيا فسأله هل تحسن القراءة فقال نعم قال فاقرأ آم القرآن فقال الأعرابى والله ما أحسن البنات فكيف الأم فضربه عمر بالدرة وأسلمه الى الكتاب ليتعلم فمكث حينا ثم هرب ولما رجع لأهله أنشدهم :

أتيت مهاجرين فعلمونى ثلاثة أحرف متتابعات

وخطوا الى أبا جاد وقالوا نعلم سعفصا وقريشيات

وما أنا والكتابة والتهجى وما خط البنين مع البنات

وأن الكتابة وصلت الى كندة والنبط من أهل اليمن لأن كندة أصلها من البحر والمشقر ثم نزلوا حضرموت وهاجروا الى أرض معد بن عدنان كما وصلت لاسماعيل وولده هميسع وقيذار ونفيس ونضر وتيماه ودومة وأن الكتابة وصلت لأهل اليمن من الخفلجان كاتب هود .

وعلى هذا يكون كندة والنبط فى طبقة واحدة ، كلاهما أخذ عن اليمن وأعطى الأنبار والحيرة ، وتكون الأنبار والحيرة كلتاهما فى طبقة واحدة تعلموا من كندة والنبط ومنهم وصل الخط للحجاز .

وهاك جدولا بسلسلة الخط عند مؤرخى العرب .

	مسند حميري	كندي او نبطي	حيري او انباري
ا			
ب			
ج			
د			
ه			
و			
ز			
ح			
ط			
ى			
ك			
ل			
م			
ن			
س			
ع			
ف			
ص			
ق			
ر			
ش			
ت			

وعلى رأيهم يكونون قد أثبتوا المسند في السلسلة ونفوا السرياني ولم يقسموا الخط العربي الى قسمين

(شكل رقم ٩)

مذهبنا فى هذه المسألة

ونحن نذهب فى هذه المسألة مذهبا وسطا فتثبت من قول الفريقين ما أثبتناه فنقول ان الأولية التى ذكرت فى روايات مؤرخى العرب هى أولية نسبية لا أولية مطلقة ، فمن قال ان أول من وضع الكتابة اسمعيل لم يخطىء لأنه أول واضع بالنسبة لما أدخله فيها من التنقيح أو بالنسبة لقومه وأهل جهته . ومن قال انه الخفلجان أو حمير أو نفيس ونضر أو نزار أو مرامر لم يخطىء كذلك لمكان النسبة التى ذكرناها وفى القطع بتحديد زمن أو تعيين شخص مجازفة لا تخفى لأن ما لم نعلمه أكثر مما علمناه . فعلينا أن نثبت ما وصل الينا علمه ولا ننفى ما لم يصل الينا علمه .

وعلى ذالك يكون أقدم حلقة معروفة فى السلسلة أهل مصر وبعدهم الفينيقيون ويليهم الآراميون وأصحاب المسند ، ولا شك أن أرام بن سام المسمى عند العرب بارم هو من أسلافنا العرب ، فالخط الذى تلقاه أولاد آرام عن الفينيقيين فى وقت اختلاطهم بهم وصل الى اليمن بواسطة الخفلجان كاتب هود وغيره وانتشر فى اليمن ثم تعلمه النبط وكندة ومنهم تعلم أهل الحيرة والأنبار ومنهم تعلم أهل الحجاز ، والخط الحيرى هو بعينه الذى يسمى بالكوفى بعد بناء الكوفة وهو خط واحد الا أن أهل الكوفة اخترعوا فيه حلية وزخرفة تشبه الزخرفة التى استعملها السريانيون فى خطهم المعروف بالسطرنجيلى وان لم تكن مثلها بالضبط . وهذا الخط المزخرف يكتب به على المعابد وكتب الدين غالبا . أما الرقاع ونحوها فتكتب بالخط الحيرى العادى المعروف بالنسخى . وعلى رأينا هذا يكون الخط المسند من أصول الخط العربى . والسريانى ليس من حلقات تلك السلسلة . ويؤيد مذهبنا أربعة أوجه

الوجه الأول أن الخط المسند ليس نوعا واحدا بل هو عدة أنواع عرف منها أربعة :

الأول الخط الصفوى نسبة الى جبل الصفا ٠

والثانى الثمودى يسبة الى ثمود سكان مدائن صالح ٠

والثالث اللحيانى نسبة لبنى لحيان ٠

والرابع السبئى أو الحميرى ٠

وأقرب هذه الأنواع الى الفينيقى هو الصفوى ثم الثمودى ثم اللحيانى ثم السبئى ويلى ذلك الحبشى الأثيوبى فالغازى (نسبة الى قبيلة فى الحبشة اسمها غاز) فالبربرى٠ وذلك يدل على أن الخط المسند هو خط واحد فى الأصل قريب من أبيه الفينيقى وغير بعيد الشبه عن أخيه الآرامى ٠ وقد وصل الخط من اليمن والآراميين الى الحيرة والأنبار بواسطة كندة والنبط ومن الحيرة والأنبار جاء لأهل الحجاز ٠

وهاك جدولا لمقارنة الفينيقى بأنواع المسند وما تولد منه ٠

	فينيقى	مسند صفوى	مسند ثمودى	مسند لحيانى
ا				
ب				
ج				
د				
هـ				
و				
ز				
ح				
ط				
ى				
ك				
ل				
م				
ن				
س				
ع				
ف				
ص				
ق				
ر				
ش				
ت				

(شكل رقم ١٠)

(تابع شكل رقم ١٠)

بربری	غازی	حبشی أثیوبی	مسند حمیری
	አ		
	በ		
	ገ		
	ደ		
	ሀ		
	ወ		
	ዘ		
	ሐ		
	ጠ		
	የ		
	ከ		
	ለ		
	መ		
	ነ		
	ሰ		
	ዐ		
	ፈ		
	ጸ		
	ፀ ቀ		
	ረ		
	ሠ		
	ተ		

والوجه الثانى أن النبط خالطوا اليمانين وجاوروهم كما خالطوا بعض طوائف الآرام بل دخلوا تحت حكم اليمانين فى بعض العصور وكان لهم فى أيام دولتهم علاقات تجارية مع أهل اليمن تقتضى مبادلة المكاتبة من الطرفين كما كان لليمانين حضارة تستحق الاقتباس ، فيبعد مع كل هذا أن يترك النبط خط اليمن بالمرة ويقتصروا على الأخذ عن الآرام وحدهم •

والوجه الثالث أن الروايات متضافرة والكلمة متفقة على أن الخط جاء الى الحجاز عن اليمن ، فمصادرة كل هذه الروايات والذهاب الى أنه لم يجىء للحجاز الا من بعض طوائف الآرام دون أهل اليمن مصادمة للتاريخ وجحود للاجماع ولا يجحد النقل ما لم يدفعه العقل •

والوجه الرابع أن أحرف ثخذ ضظغ المسماة بالروادف لا توجد فى الفروع الآرامية وتوجد فى المسند فلابد أن تكون وصلت الى الحيرة من المسند •

وهذه صورة الأحرف الروادف فى المسند الحميرى •

ث

خ

ذ

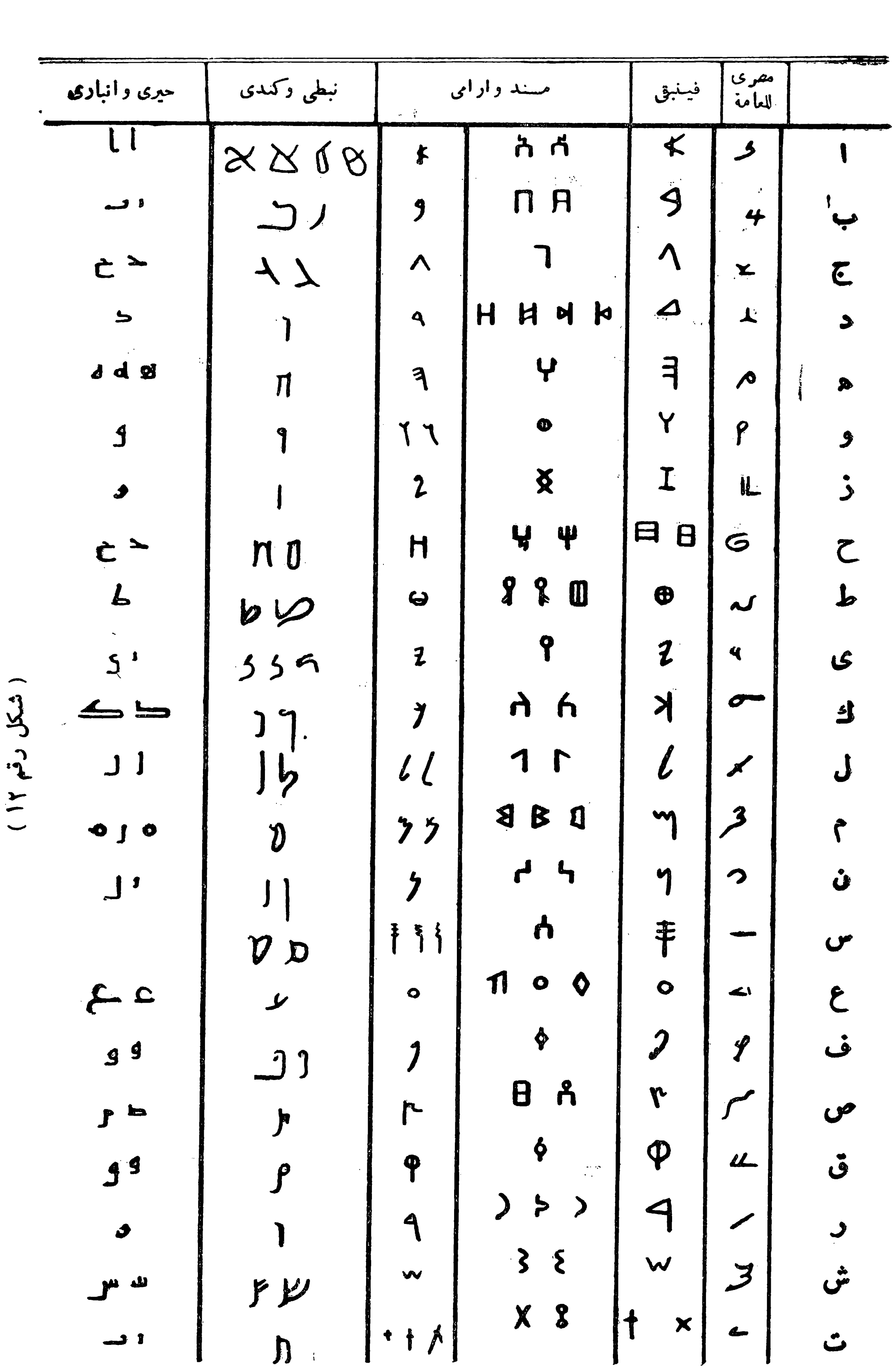
ض

ظ

غ

(شكل رقم ١١)

وهاك جدولا لبيان سلسلة الأحرف العربية على مذهبنا •



مصرى للعامة
فينيق
مسند وارامى
نبطى وكندى
حيرى وانبارى
ا ب ج د ه و ز ح ط ى ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت

(شكل رقم ١٢)

والى هنا تم الكلام على سلسلة الحروف العربية مفترقة ، وسنذكر شيئا من سلسلتها مجتمعة .

سلسلة الحروف العربيــة مجتمعة

من عرف أشكال الحروف مفترقة لا يصعب عليه قراءة الكلمات المؤلفة منها ولا قراءة الجمل المؤلفة من تلك الكلمات . وقد عثرنا على كلمات وجمل مجتمعة من كل حلقة من حلقات السلسلة العربية فنتكلم عليهــا توفية للمقام وتتميما لهذا المبحث .

أما الحلقة الأولى وهى الحروف المصرية فحسبك منها فى هذا المقــام الشكل الثانى (شكل رقم ٢) السابق رسمه فى صدر هذا المبحث ، فنكتفى بالاشارة اليه ، والمعابد الفرعونية القديمة مشحونة بهذا الخط .

وأما الحلقة الثانية وهى الحروف الفينيقية فنذكر منها أربعة أسطر من ضمن كتابة طويلة منقوشة على ناوس الملك اسمونزار ملك صيدا قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو ٣٨٠ سنة . وهذه صورتها مأخوذة بطريقة التصوير الشمسى (فتوغراف) .

(شكل رقم ١٣)

وهذه ترجمتها بالعربية كل سطر على حدته :

(١) فى شهر بول سنة ١٤ من حكم الملك اسمونزار ملك الصيدونيين

(٢) ابن الملك تابنيت ملك الصيدونيين اسمونزار تكلم قائلا قبضت

(٣) قبل الأوان (ابن أيام قليلة يتيما وابن أرملة) وها أنا ذا أستريح فى هذا الناوس بهذا القبر و .

(٤) فى المحل الذى بنيته لنفسى وأنا أناشد كل أمير أو انسان أن لا يفتح هذا القبر و .

وأما الحلقة الثالثة وهى حروف المسند والخط الآرامى فنثبت منها أربعة أسطر مكتوبة بالخط الحميرى منقولة عن كتاب محاضرات جويدي وهـذه صورتها :

(شكل رقم ١٤)

فاذا وضعت بدل كل حرف حميرى من حروف هذه الأسطر حرفا عربيا من الحروف المستعملة الآن تكون كتابة هذه القطعة هكذا :

١	٢	٣	٤	٥
وهبم	واخهو	بنو	كلبت	هقنيو
٦	٧	٨	٩	١٠
المقه	ذهرن	ذن	مزندن	حجن
١١	١٢	١٣		
وقههمو	بمسالهو	لوفيهمو		
١٤	١٥			
وسعدهمو	نعمتم			

أى وهب وأخوه بنو كلبة (اسم قبيلة) أقنوا (أعطوا) •

المقه (اسم اله) ذاهران (صاحب الموضع الذي يقال له هران) ذان (هذا) مزندن (اللوح) •

حجن (من أجل) وقههم (ان أجابهم) بما سألوه .

لوفيهم (سلمهم) وساعدهم يعمة (أى منه) .

وقد أثبتنا فيما مضى جملا من الكتابة الآرامية فى الأشكال الثالث والرابع والخامس ، فنكتفى هنا بالاشارة اليها (راجع رقم ٣ ورقم ٤ ورقم ٥) .

وأما الحلقة الرابعة وهي الحروف النبطية والكندية فنثبت منها خمسة أسطر مكتوبة بالنبطية الحديثة على قبر امرىء القيس بن عمرو من ملوك لخم سنة ٣٢٨ ميلادية بعد دخول مدينة بصرى عاصمة حوران فى حوزة الرومان بنحو ٢٢٣ سنة ، والمعروف أن دخول بصرى فى حوزة الرومان فى سنة ١٠٥ ميلادية ، وهذه الكتابة اكتشفها عالم فرنسى من علماء المشرقيات يقال له دوزو فى خرائب النمارة بحوران . وهذه صورتها مأخوذة بطريقة التصوير الشمسى :

(شكل رقم ١٥)

فاذا وضعت بدل كل حرف نبطى من هذه الأسطر الخمسة حرفا عربيا تكون كتابة هذه الأحرف هكذا :

(١) تى نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج .

(٢) وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدى وجاء .

(٣) بزجو فى حبج نجران مدينة شمرو وملك معدو ونزل بنيه .

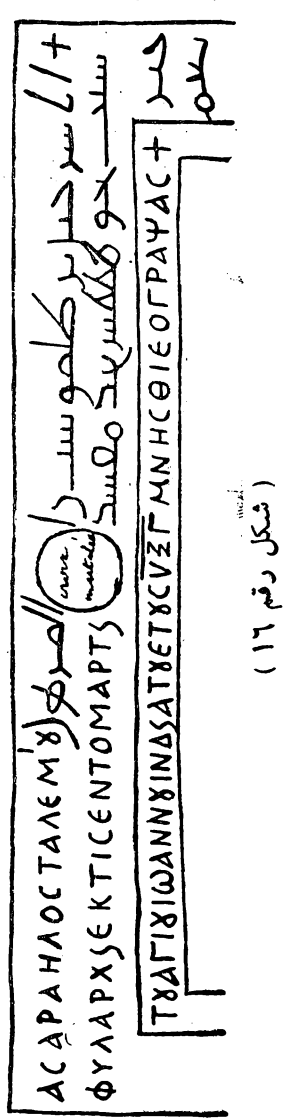
(٤) الشعوب ووكله الفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

(٥) عكدى هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده .

أى هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى حاز التاج وتملك الأسديين ونزارا وملوكهم وهزم مذحجا اليوم وجاء بغنائم فى مجتمع

نجران مدينة شمر وتملك معدا وأنزل بنيه الشعوب ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه اليوم هلك سنة ٢٢٣ فى يوم ٧ من أيلول فليسعد الذين ولدهم ٠

وأما الحلقة الخامسة وهى الحروف الحيرية الأنبارية فنثبت منها سطرين مكتوبين فى سنة ٥٦٨ ميلادية قبل الهجرة بنحو نصف قرن عثر عليهما الباحثون فى حران ومعهما كتابة رومية وصورتهما هكذا :



(شكل رقم ١٦)

وكلام هذا الشكل نبغى وان كان خطه عربيا ٠

تاريخ الخط العربى

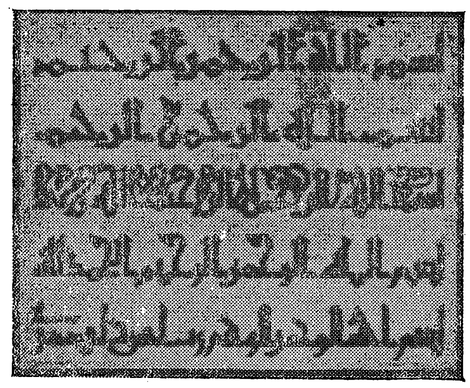
بعد ظهور الاسلام

وصل الخط الحيرى الأنبارى الى الاسلام على شكلين : التقوير ، والبسط

فالخط المقور (ويسمى باللين وبالنسخى) هو ما كانت عراقاته منخسفة الى أسفل ، وهو الذى كثر استعماله وعم تداوله فى المراسلات والكتابات المعتادة •

والخط المبسوط (ويسمى باليابس) ماكانت عراقاته مبسوطة ، ولايستعمل عادة الا فى النقش على المحاريب وأبواب المساجد وجدران المبانى الكبيرة ، وفى كتابة المصاحف الكبيرة ، وما يقصد به الزينة والزخرف ، وغلب عليه اطلاق لفظ «كوفى» بعد أن بنيت الكوفة بأمر عمر بن الخطاب على مقربة من موضع الحيرة فى رملة تخالطها حصباء ، وكل رملة تخالطها حصباء تسمى عند العرب كوفة ، وكل أرض حجرية بيضاء كالجص تسمى بصرة • وقد نزح اليها من بقى من أهل الحيرة والأنبار لحلولها محل مدينتهم ، وانتشر الخط فى أهلها وبرعوا فيه وجودوه ، ولذلك نسب اليهم ، فقيل : خط كوفى بعد أن كان يقال خط حيرى أو أنبارى ، وصار اطلاقه على المبسوط أغلب من المقور •

وهذه صـــورة البسملة مكتوبة بالخط المزخرف خمس مرات بأشكال مختلفة •



(شكل رقم ١٧)

وكان كتّاب النبى صلى الله عليه وسلم يكتبون بالخط المقور وهو النسخى . وهم ثلاثة وأربعون أشهرهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأبوسفيان وابناه معاوية ويزيد وسعيد بن العاصى وابناه أبان وخالد وزيد ابن ثابت والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص وعامر ابن فهيرة وعبد الله بن الأرقم وعبد الله بن رواحة وعبد الله بن سعد بن أبى سرح وأبى بن كعب وثابت بن قيس وحنظلة بن الربيع وشرحبيل بن حسنة والعلاء الحضرمى وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومعيقيب بن أبى فاطمة الدوسى وحذيفة بن اليمان وحويطب بن عبد العزّى العامرى .

وكان ألزمهم للنبى صلى الله عليه وسلم وأكثرهم كتابة له زيد بن ثابت ومعاوية بن أبى سفيان .

وبهذا الخط عينه كتب زيد بن ثابت صحف القرآن فى خلافة أبى بكر بأمره رضى الله عنه باشارة عمر بن الخطاب ، حين استحر القتل فى القراء باليمامة .

وكتب هو وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصى وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المصاحف الأربعة التى أرسل عثمان بن عفان ثلاثة منها للبصرة والكوفة والشام وأبقى عنده واحدا . ويروى أنه أرسل بعد ذلك ثلاثة أخرى لمكة واليمن والبحرين .

وكانت ثقيف أبرع أهل الحجاز فى الكتابة ، كما أن هذيلا كانت من أبرعهم فى الفصاحة ، ولذلك لما عرضت المصاحف على عثمان بن عفان بعد كتابتها ووجد فى رسمها بعض شذوذ عما يقتضيه القياس كزيادة الألف فى قوله تعالى « أو لا أذبحنه » وقوله «ولاأوضعوا خلالكم » وزيادة الواو فى قوله « سأوريكم دار الفاسقين » وزيادة الياء فى قوله « من نبأى المرسلين » وحذف الألف فى قوله « ووعدنا موسى » وقوله « حَش لله » وحذف الياء فى قوله « النبيين » و « الأمين » قال : لو كان الكاتب من ثقيف والمملى من

هذيل لم توجد هذه الحروف ، فارتكبت الكتبة فى كيفية تدارك ذلك ، فقال لهم : اتركوها فان العرب ستقيمها بألسنتها (١) .

ووجد بخزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم فى جلد مذكور فيه « حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على ... بن ... الحميرى من أهل وَزَل صنعاء عليه ألف درهم فضة كيلا بالحديدة ومتى دعاه بها أجابه شهد الله والملكان » . ذكر ابن النديم فى كتابه الفهرست أنه رأى هذا الكتاب وأن خطه يشبه خط النساخ .

والكتب التى أرسلها النبى صلى الله عليه وسلم للملوك كانت كلها بهذا الخط . منها :

كتابه لهرقل قيصر الروم ، وقد أرسله مع دحية الكلبى .

وكتابه لأبراويز كسرى فارس ، وقد أرسله مع عبد الله بن حذافة السهمى .

وكتابه لأصحمة نجاشى الحبشة ، وقد أرسله مع عمرو بن أمية الضمرى .

وكتابه لمينا بن جريج مقوقس مصر ، وقد أرسله مع حاطب بن أبى بلتعة .

وكتابه للمنذر بن ساوى وقد أرسله مع العلاء بن الحضرمى .

وكتابه لجيفر وعبد ملكى عمان وقد أرسله مع عمرو بن العاص .

وكتابه لهوذة بن على صاحب اليمامة وقد أرسله مع سليط بن عمرو العامرى .

وكتابه للحارث بن شمر الغسانى ملك البلقاء ، وقد أرسله مع شجاع ابن وهب .

وكتابه ليوحنا بن رؤية صاحب أيلة ، وسلمه له فى تبوك .

---

(١) من سياق هذا القول يتضح أن عثمان بن عفان رضى الله عنه اخذ على كتبة المصاحف خطأهم فى رسم بعض الكلمات ، ولكنه لم يره خطأ يستحق نبذ المكتوب واعادة كتابة مصاحف جديدة ، فمن المغالطة اذا تأويل القس جاردنر هذا الخبر واستدلاله به على أن القرآن محرف ومبدل .

وقد عثر الباحثون على الكتابين المرسلين الى المقوقس والمنذر بن ساوى وأخذوا صورتيهما بواسطة التصوير الشمسى (فوتوغراف) وطبعوهما •

أما الكتابان نفساهما فمحفوظان فى الآستانة وفينا ، فى الأولى كتاب المقوقس وفى الثانية كتاب المنذر •

وهذه صورة الكتاب المرسل الى المقوقس منقولة عن صورة شمسية أخذها صديقنا الأديب محمد على سعودى (أفندى) عن نسخة منقولة من النسخة الأصلية المحفوظة بدار الآثار النبوية بالآستانة ، وقد عثر عليها عالم فرنسى فى دير بمصر قرب أخميم فى زمن سعيد باشا والى مصر ، وسمع بحديثها السلطان عبد المجيد فاستقدم ذلك العالم وعرض تلك النسخة على العلماء فقرروا أنها هى بعينها كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى المقوقس فاشتراها منه بمال عظيم •



(شكل رقم ١٨)

وهذا بيانها بالكتابة العادية •

بسم الله الرحمن الرحيم * من محمد عبد الله ور
سوله الى المقوقس عظيم اقبط سلام على
من اتبع الهدى * أما بعد فانى
أدعوك بدعاية الاسلام . أسلم
تسلم يؤتك الله أجرك مرتين
فان توليت فعليك اثم كل القبط
يا أهل الكتاب تعالوا انى كلمة
سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
بعضا أربابا من دون الله فان
تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مس
لمون

الله
رسول
محمد

وكان الخط العربى يسمى فى صدر الاسلام مكيا ومدنيا ، ثم يسمى كوفيا لشهرة أهل الكوفة بالكتابة كما تقدم .

الشكل بطريق النقط

لم يكن الخط الذى وصل الى العرب مضبوطا بالحركات والسكنات كما هو اليوم ، بل كان خلوا مما يدل على أشكال الحروف المكتوبة ، فاذا رأيت كلمة «حمل» مثلا فلا تدرى أفعل هى أم اسم واذا كانت فعلا فلا تعرف أمبنى للمعلوم أم للمجهول ، واذا كانت اسما فلا تفهم أمعناه الصغير من الضأن أم الثقل الذى يحمل على الدابة ، وكان الناس مع ذلك يقرءون كل ما يكتب معتمدين على سياق الكلام وما يقتضيه المقام ودلالة السوابق واللواحق ، ولا يلحنون فى شىء مما يقرءونه لتعودهم على النطق الصحيح واقتفاء ألسنتهم لعقولهم ، وعهدهم تلك الكلمات فى جمل أخرى سبق الاطلاع عليها ، وما لم يكن لهم به عهد يدركونه من السياق ومعرفة الصيغ العامة وملكة الاعراب التى كانت سليقة فى العرب قبل اختراع علم النحو ومكتسبة من التعلم بعد اختراعه • ولكن لما انتشر الاسلام واختلط العرب بالعجم ونشأت الناشئة من الهجناء والمقرفين بين أبوين عند أحدهما ملكة العربية والآخر خلو منها ، وفى وسط موال وخلطاء من العجم لا يحسنون العربية ، ظهر اللحن فى الكلام ، وعرا اللسان العربى بعض العجمة ، وخشى العرب أن تفسد ألسنة أولادهم وذراريهم وتضعف لغتهم ويتطرق الخطأ الى القرآن وهو حفاظ الدين وأساس الاسلام ، فأخذوا يفكرون فى تدارك هذا اللسان قبل أن يستفحل الفساد • وحدثت عدة حوادث استفزتهم الى النهوض الى صيانة القرآن ولغته •

من ذلك أن ابنة أبى الأسود نظرت الى السماء فى ليلة شديدة الصحو وقالت لأبيها : ما أحسن السماء (بضم النون) فقال : نجومها ، قالت : أردت التعجب فقال : كان عليك أن تقولى : ما أحسنَ السماءَ وتفتحى فاك ، وقد ذكر ذلك أبو الأسود لعلى كرم الله وجهه ، فعلمه أبوابا من النحو منها باب ان وباب الاضافة وباب الامالة • وقال له : انحُ هذا النحو يا أبا الأسود ، فاشتغل أبو الأسود بوضع أبواب فى النحو زيادة عما عرفه من على ، منها باب العطف وباب النعت وباب التعجب وباب الاستفهام •

واشتهر بعد ذلك أبو الأسود بعلم العربية فاختلف الناس اليه للأخذ عنه. منهم عنبسة الفيل بن معدان المهرى ، وميمون الأقرن ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، ويحيى بن يعمر العدوانى قاضى خراسان ، ونصر بن عاصم الليثى ، وعبد الله بن اسحاق الحضرمى ، وعطاء بن أبى الأسود ، وقد برعوا فى النحو وقراءة القرآن وفنون الأدب حتى صاروا أئمة الأنام وهداة الاسلام .

غير أن اشتغال الناس بالنحو لم يصد ذلك التيار الجارف من فساد الألسنة بالاختلاط ، فطلب زياد بن سُميّة وكان والياً على البصرة من أبى الأسود أن يضع طريقة لاصلاح الألسنة وقال له : ان هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسنة العرب ، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله فأبى أبو الأسود ، لأنه من جهة كان ضنينا بما تلقاه عن على كرم الله وجهه ومن جهة أخرى كان قد ضعف نشاطه بعزله عن ولاية البصرة بعد قتل على وافضاء الخلافة الى الأمويين أعدائه السياسيين ، فدبر زياد حيلة وكان من دهاة العرب فقال لرجل من أتباعه : اقعد فى طريق أبى الأسود واقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فذهب الرجل وقعد فى عريق أبى الأسود ، فلما تقاربه رفع الرجل صوته بالقراءة كأنه لا يقصد اسماع أبى الأسـود وقال « ان الله برىء من المشركين ورسوله » وكسر اللام ، فأعظم ذلك أبو الأسود ، وقال عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ، ثم رجع من فوره الى زيادة وقال لم : قد أجبتك الى ما سألت ورأيت أن أبدأ باعراب القرآن ، فابغنى كاتبا . فبعث زياد اليه ثلاثين كاتبـا فاختار منهم واحدا من عبد القيس وقال له : خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد فاذا رأيتنى فتحت شفنتى بالحرف فانقط واحدة فوقه واذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله واذا ضممتهما فأجعل النقطة بين يدى الحرف فان تبعت شيئا من هذه الحركات غنة فأنقط تقطتين. وأخذ يقرأ القرآن بالتأنى والكاتب يضع النقط ، وكلما أتم الكاتب صحيفة أعاد أبو الأسود نظره عليها واستمر على ذلك حتى أعرب المصحف كله ، فأخذ الناس هذه الطريقة عنه وشكلوا بها الحروف ، فكانوا يضعون للدلالة على فتحة الحـرف نقطة فوقه وعلى كسرته نقطة من أسفله وعلى ضمته نقطة عن شماله والحرف الساكن لا يضعون عليه شيئا ، واذا كان الحرف منونا يضعون يقطتين فوقه أو أسفله أو عن شماله واحـدة دلالة على الحركة والأخرى دلالة على التنوين ، فاذا كان بعد التنوين حرف

من أحرف الحلق وضعوهما احداهما فوق الأخرى علامة على أن النون مظهرة والا وضعوهما احداهما بجانب الأخرى علامة على أن النون مدغمة أو خفية .

وكانوا يسمون هذه النقط شكلا لأنها تدل على شكل الحرف وصورته ، ولولا ذلك لكان الحرف مادة قابلة لأن تتشكل بأى شكل ، فوضع النقطة نص فى قصر الحرف على شكل مخصوص . وهذا هو السبب فى تسمية هذه العلامات شكلا ، وزعم بعضهم أن الشكل مأخوذ من شكلت الدابة اذا قيدتها بالشكال ، وهو وان لم يأبه اللفظ غير مراد للواضعين . وهذا مثال من شكل أبى الأسود وان كان مداده أسود .

سلام .. فو لا من رب رحيم.

وقد تفنن الناس بعد أبى الأسود فى شكل النقط ، فمنهم من جعلها مربعة ومنهم من جعلها مدورة مسدودة الوسط ، ومنهم من جعلها مدورة خالية الوسط كما ترى (٠ • ٥)

واخترع أهل المدينة للحرف المشدد علامة على شكل قوس طرفاه للأعلى هكذا ◡ يوضع فوق الحرف المفتوح وتحت المكسور وعلى شمال المضموم ، وكانوا يضعون نقطة الفتحة فى داخل القوس ونقطة الكسرة تحت حديه ونقطة الضمة على شماله هكذا ثم استغنوا عن النقطة وقلبوا القوس مع الكسرة والضمة فصار الحرف المشدد المفتوح هكذا والمكسور هكذا والمضموم هكذا

ثم زاد اتساع أبى الأسود علامات أخرى فى الشكل .

فوضعوا للسكان جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه سواء كان همزة أم غير همزة ، ولألف الوصل جرة فى أعلاها متصلة به ان كان قبلها فتحة وفى أسفلها ان كان قبلها كسرة وفى وسطها ان كان قبلها ضمة هكذا ( ).

وكل ذلك كان باللون الأحمر (أى بمداد مخالف فى اللون لمداد الكتابة) قال أبو عمرو : ولا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصور الرسم يعنى رسم مصاحف عثمان ، وأرى أن تكتب الهمزات بالصفرة وعلى ذلك مصاحف أهل المدينة ، قال عثمان بن سعيد الدانى فى كتابه « المقنع » واذا استعملت

الخضرة لألفات الوصل على ما أحدثه أهل بلدنا قديمــا فلا أرى بذلك بأسا وبلده دانية بالأندلس •

وجرى أهل الأندلس على اســتعمال أربعة ألوان فى المصــاحف : السواد للحروف ، والحمرة للشــكل بطريقة النقط ، والصفرة للهمزات ، والخضرة لألفــات الوصل •

ولم تشتهر طريقة أبى الأسود الا فى المصاحف حرصا على اعراب القرآن ، أما الكتب العادية فكان شكلها نادرا ، لأن المكتوب اليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلا لهم ، قال بعضهم : شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب اليه ، ومن الناس من كان ينفر من الشكل بهــذه الطريقة لقبح منظره ، وقــد عرض مرة على عبد الله ابن طاهر كتاب مشكول وكان خطه جميلا فقال : ما أحسن هذا الخط لولا كثرة شونيزه ، والشونيز الحبة السوداء ، شبه ابن طاهر النقط بالشونيز ، كأن الكاتب بعد أن خط كتابه نثر عليه جانبا من الشونيز •

الإعجـــام

المراد بالاعجام تمييز الحروف المتشابهة بوضع نقط لمنع اللبس ، فالهمزة فى الاعجام للسلب ، أى ازالة والعجمة كما فى قولك شكوت اليـه فأشكانى ، أى أزال شكواى .

والمشهور أن اختراع الاعجام كان فى زمن عبد الملك بن مروان . والتحقيق أنه كان قبل الاسلام. ولنا على ذلك أدلة : أولها ما روى عن ابن عباس من أن عامر بن جَدَرة هو الذى وضع الاعجام . وثانيها أنا نجد للباء والتاء والثاء مع اختلافها فى النطق صورة واحدة وكذلك للجيم والحـاء والخـاء وللدال والذال وهلم جرًّا ، ويبعد كل البعد أن تكون الحـروف موضـوعة فى أول أمرها على هذا اللبس المنافى لحكمة الواضعين الذاهب بحسن الاختراع ، فاما أن يكون لكل حرف شكل مخالف لسائر الحروف ثم اتحدت الأشكال المتقاربة وصارت شكلاً واحدا بتساهل الكتاب وطول الزمن . واما أن يكون بعض الأشكال موضوعا لعدة أحرف ووضع الاعجام معها لتمييزها بعضها عن بعض ، وقد ثبت مما نقلناه عن المؤرخين أن الروادف وهى أحرف (ث خ ذ ض ظ غ) لم يكن لهـا صورة فى الخط الفنيقى الذى هو أساس الخط العربى ، فلابد أن يكون واضع الحروف العربية قد أخذ لها صور الباء والجيم والدال والصاد والطاء والعين ووضع لهـا النقط لتمييز المأخوذ عن المأخوذ منه . وثالثها وبه فصل الخطاب أنه قد عثر على كتابات قديمة محررة قبل خلافة عبد الملك فيها اعجام بعض الحروف كالباء وما يشبهها ، فيفهم من جميع ذلك أن الاعجـام موضوع قبل الاسلام ، ولكن تساهل الكتاب فى أمره شيئا فشيئا ، حتى تنوسى ولم يبق منه الا النادر الى أن جاء زمن عبد الملك فحتم على كتاب دولته رعايته[1]

---

(١) وذكر بعضهم دليلا رابعا وهو ما روى أن كتبة المصاحف جردوا القرآن من النقط والشكل بأمر عثمان رضى الله عنه ، فزعم أنه كان مكتوبا فى الصحف (التى كانت مودعة عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر) بالاعجام وأن عثمان أمر الكتاب أن يجردوه من النقط . وهذا الاستدلال خطأ مبنى على خطأ لأن النقط للاعجام أو الشكل لم يكن مستعملا فى زمن عثمان وانما النقط الذى كان فى زمنه كان عبارة عن علامات خاصة باللغات التى كان الصحابة يقرءون بها ، والرواية

وبيان ذلك أن الناس مكثوا يقرءون فى مصـاحف عثمان نيفا وأربعين سنة ثم كثر التصحيف فى العراق ، ففزع الحجاج الى كتابه فى زمن عبد الملك وسألهم أن يضعوا علامات لتمييز الحـروف المتشابهة ، ودعا نصر بن عاصم الليثى ويحيى بن يعمر العدوانى (تلميذى أبى الأسود) لهذا الأمر ، وكانت عامة المسلمين تكره أن يزيد أحد شيئا على ما فى مصحف عثمان ولو للاصلاح ، وتوقف كثير منهم فى قبول الاصلاح الأول الذى أدخله أبو الأسود ، فبعـد البحث والتروى قرر نصر ويحيى (وكانا من التقـوى بحيث لا يتهمان فى دينهما) ادخال الاصلاح الثانى ، وهو أن توضع النقط أفرادا وأزواجا لتمييز الأحرف المتشابهة فلتمييز الدال من الذال تهمل الأولى وتعجم الثانية بنقطـة واحدة علوية ، وكذلك الراء والزاى • والصاد والضاد والطاء والظاء • والعين والغين • وجعلا تمييز السين من الشين باهمال الأولى كالعادة واعجام الثانية بثلاث نقط ، لأن لها ثلاث أسنان فلو أعجمت بنقطة واحدة لتوهم متوهم أن الجزء الذى تحت النقطة نون والباقى حرفان مثـل الباء والتـاء تسوهل فى اعجامهما • وأما الباء والتاء والثاء والنون والياء فلم تجعل واحدة منهن مهملة كالعادة بل أعجمت كلها لأن الاشتباه يقع فيها من وجهين • أولهما أنه اذا اجتمع ثلاث منها يشتبهن بالسين والشين • وثانيهما أنها ليست زوجية كالدال والذال والعين والغين بل هى خمسة أحرف فاذا أهمل أحدها فربما توهم أنه حـرف تسوهل فى اعجامه ، وحينئذ تكون أطراف الشك أربعة وهى كثيرة • أما الجيم والحاء والخاء فلم يجتمع فيها الاشتباهان اللذان اجتمعا فى السين والشـين ولذلك جعلت احداهما (الحـاء) مهملة وأعجم الأخريان واحـدة من تحت والأخرى من فوق •

= مسوقة لبيان اختيار عثمان لغة قريش فى الكتابة وايثارها على غيرها من لغات العرب ، فقد كانت الصحف المودعة عند حفصة مبينة فيها اللغات الأخرى بنقط على الحروف اصطلحوا على وضعها للدلالة على الامالة وضم ميم الجمع والاشمام والهمز والتسهيل وغير ذلك من القراآت التى رواها أهـل القبـائل عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمر عثمان الكتبة بأن يجردوا القرآن من هذه النقط ، ويكتبوه على لغة قريش فقط ، ففعلوا •

فظهر أن النقط التى جرد القرآن عنها لم تكن نقط اعجام ولا نقط شكل ، لأنه لا معنى للأمر بتجريد القرآن منها اذا كان لها وجود .

وأما الفاء والقاف فكان القياس أن تهمل أولاهما وتعجم أخراهما بنقطة كباقي الأحرف الزوجية كالدال والذال والرء والزاى ، وقد ذهب المشارقة الى نقط الفاء بواحدة من أعلى والقاف باثنتين من أعلى أيضا ، وذهب المغاربة الى نقط الفاء بواحدة من أسفل والقاف بواحدة من أعلى . ومعنى هذا الخلاف أن الناقلين عن نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر غير متفقين على كيفية اعجام هذين الامامين لهذين الحرفين ، فذهب المشارقة الى رأى والمغاربة الى آخر ، وكلاهما لا وجه له ، لأن القياس اهمال الأول واعجام الآخر . فان قلت : ان سبب اعجام الحرفين الاشتباه بالعين والغين (فى وسط الكلمة) فجعلت العين والغين على القياس وأعجمت الفاء والقاف معا . قلت : هذا لا ينهض ، لأنه على ذلك يبقى الاشتباه بين الغين والفاء عند المشارقة وبين الغين والقاف عند المغاربة والذى نعتقده فى حكمة هذين الامامين أنهما أعجما الفاء بنقطة من أسفل والقاف بنقطتين من أعلى ليتم التمييز بين الأحرف الأربعة . العين مهملة والغين معجمة بواحدة من أعلى والفاء بواحدة من أسفل والقاف بنقطتين من أعلى ، فالمشارقة أخطأوا فى الفاء وأصابوا فى القاف ، والمغاربة أصابوا فى الفاء وأخطأوا فى القاف ، فالاماماى أصابا فى الوضع ، والمشارقة والمغاربة أخطأوا فى السمع ، وقد ركبت كل فرقة رأسها ، ومضت فى غلوائها ، فلم تلو على أحد ، فلتتفق الفرقتان على الصواب أو بالأقل على أحد الخطأين .

وبعد أن قررا نقط بعض الحروف واهمال بعضها الآخر ، اتفقا على جمع الحروف المتشابهة بعضها بجانب بعض ، ولذلك اضطرا الى مخالفة الترتيب القديم المألوف عند أكثر الأمم ، وهو ترتيب أبجد ، والترتيب الحديث الذى روعى فيه ترتيب المخارج ، واتبعا ترتيبا آخر وهو ترتيب ا ب ت ث ج ح خ الخ .

ولما كانت الياء المتطرفة لا تشتبه بشيء وجب اهمالها على كل حال سواء كانت بدل ألف كالفتى أو ياء حقيقية كالقاضى وعلى ، خلافا لما جرت عليه المطابع اليوم من اهمال التى بدل ألف واعجام الياء الحقيقية ، ويكفى للتمييز وضع فتحة على ما قبل الياء فى نحو الفَتَى وكسرة فى نحو القاضِى .

ولما كان هذا الاصلاح يستدعى اشتباه نقط الشكل بنقط الاعجام ، قررا

أن تكون نقط الشكل بالمداد الأحمر ، كما ذهب اليه أستاذهما أبو الأسود ونقط الاعجام بنفس مداد الحروف ، ولم يعبأ باعتراض المعترضين ، وكتبت المصاحف بهذه الطـريقة بدون حرج ، وان خالفت مصحف عثمان ، لأن نقط الحرف جزء منه ، وأصدر الحجاج أمره لكتاب الامارة باتباع طريقة الاعجام ، فصدعوا بها • وناهيك بشدة الحجاج • وأبلغ عبد الملك بن مروان ، فاستحسن ذلك ، وحمل الناس عليه ، ولم يختص ذلك بالمصاحف فقط ، بل عم جميع الكتابة ، حتى عدّ اهمال الاعجـام خطأ فى الكتابة يستحق فاعله الملام ، واستمر الأمر على اتباع هذا الاعجام الى الآن •

وعلى ما استقر عليه الأمر تكون الحروف المهملة ١٣ (ا ح د ر س ص ط ع ك ل م هـ و) والمعجمة ١٤ (ب ت ث ج خ ذ ز ش ض ظ غ ف ق ن) أما الياء فمهملة فى الطرف معجمة فى الأول والوسط ، فاذا راعيت حالة الانفراد حسبت الياء مهملة فتكون الحروف ٢٨ منها ١٤ مهملة و ١٤ معجمة كمنازل القمر ١٤ منها ظاهرة فوق الأفق و ١٤ مختفية تحته ، ومن المهمل ستة أحرف لا تقبل الاعجام وهى (ا ك ل م هـ و) وسبعة تقبله وهى (ح د ر س ص ط ع)

ومن المعجم عشرة حروف بنقطة واحدة هى (ب ج خ ذ ز ض ظ غ ف ن) وثلاثة بنقطتين وهى (ت ق يـ) غير المتطرفة واثنان بثلاث نقط وهما (ث ش) وكل المعجم نقطة من أعلى الا (ب ج يـ) غير المتطرفة فمن أسفل •

وقد جرت عادة العلماء قديما أن يضبطوا بعض الحروف بالألفاظ فيذكروا اسم الحرف ويتبعوه بالمهملة أو المعجمة والموحدة أو المثناة والفوقية أو التحتية خوفا من تطرق الخطاء الى النقط بالقلم ، ويحذفوا من هذه الألفاظ ما يغنى عنه لفظ آخر •

فالألف والجيم والراء والزاى والفاء والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو لا تتبع بشىء ، لأن أسماءَها لا تشتبه ، فلا يقال بعدها المهملة ولا المعجمة ولا الموحدة ولا المثناة ولا الفوقية ولا التحتية •

والحاء والخاء والدال والذال والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين تتبع بكلمة المهملة أو المعجمة على حسب الحرف المراد ضبطه (١) .

والباء تتبع بلفظ الموحدة والتاء بالمثناة الفوقية والياء بالمثناة التحتية والثاء بالمثلثة .

وقد يتغير المعنى بالاهمال والاعجام ، ويترتب على التساهل فى النقط خطأ فاحش فى المعنى . يحكى أن سليمان بن عبد الملك طلب من أبى بكر ابن محمد بن عمر بن حزم الأنصارى عامله على المدينة احصاء من فى المدينة من المخنثين المغنين ، فكتب اليه (احص من قِبَلك من المخنثين المغنين) ويقال انه قد سقطت نقطة من قلم الكاتب على الحاء فصارت (اخص) فلما وصل الكتاب الى أبى بكر استفظع الأمر ، فقال له بعض كتابه : انما أراد الاحصاء لا الخصاء فقال آخر ان على الحاء نقطة كسهيل وقال آخر انها كتمرة العجوة فنفذ العامل أمر الخليفة وأمر بخصاء المغنين وكانوا تسعة . وقد ذكر صاحب (تاريخ التمدن الاسلامى) هذه القصة عن جعفر المتوكل ، وأيه كتب لعامله أن أحص من قبلك من الذميين ، فسقطت نقطة من الكاتب على الحاء ، فأمر العامل بخصاء الذميين ، وقد رواها عن كشف الظنون ، وهو خطأ لا يغتفر لمؤرخ مثله . وحقيقة القصة أن سليمان بن عبد الملك كان له شغف بجارية عنده وبينما هو يكلمها اذا هى غافلة عنه بسماع صوت مغن فى العسكر يقال له : سمير الأبلى وكان يغنى هذا الشعر :

محجوبة سمعت صوتى فأرقها	فى آخر الليل حتى شفها السهر
تدنى على جيدها ثنتى معصفرة	والحلى منها على لبَّاتها خصر
فى ليلة النصف ما يدرى مضاجعها	أوجهها ما يرى أم وجهها القمر
لو خليت لسعت نحوى على قدم	تكاد من رقة بالمشى تنفطر

(١) وقد تتبع الظاء بالمشالة بدل المعجمة والاشالة الرفع لارتفاع ألف فيها تمييزا لها عن الضاد ، وهو تمييز لا حاجة اليه لأن لفظ ظاء لا يشتبه بلفظ ضاد، وانما يشتبه بلفظ طاء ، والاشالة موجودة فيهما معا ، فالتمييز بالمعجمة والمهملة أولى بالاتباع .

واتفق أنها كانت لابسة غلالة ورداءً معصفرين ، وفى عنقها فصلان من لؤلؤ وزبرجد وياقوت ، بحيث ينطبق عليها الشعر ، فظن أن بين المغنى وبينها هوى ، فأعرض عن الجارية وأرسل فى الصباح للمغنى وسأله : أهو الذى كان يغنى الشعر ؟ فاعترف له ، فأمر بخصائه ، وسأل الحاضرين عن أصـــل هذا الغناء فقالوا له : ان مخنثى المدينة أئمته ، وأهل الحذق فيه ، وكل المغنين تبع لهم ، فأرسل الى عامله فى المدينة أن أخص من قبلك من المخنثين المغنين ، وعلى ذلك فالنقطة موضوعة قصدا لا خطأ .

وقد تفنن أتباع نصر بن عاصم فى وضع نقط الاعجام ، فمنهم من وضعها مربعة ، ومنهم من وضعها مدورة مسدودة الوسط ، ومنهم من وضعها جرةً صغيرة فوق الحرف أو تحته هكذا (·· — = ≡) ولم يستعملوا المدورة الخالية الوسط .

الشكل بطريق الحروف الصغيرة

اتبع الناس فى زمن دولة بنى أمية الاصلاح الأول الذى أدخله أبو الأسود والاصلاح الثانى الذى أدخله نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر • وفى زمن دولة بنى العباس مال الناس الى أن يجعلوا الشكل بنفس مداد الكتابة تسهيلا للأمر ، لأنه لا يتيسر للكاتب فى كل وقت أن يجد لونين من المداد ، فوقف فى سبيلهم اختلاط الشكل بالاعجام ، لأن كلا منهما بالنقط ، ورأوا أنه لا بد من اصلاح ثالث اما بتغيير طريقة الشكل ، واما بتغيير طريقة الاعجام ، وقد عنى الخليل بن أحمد الفراهيدى بهذا الأمر ، وكان أوسع الناس علما بالعربية فوضع طريقة أخرى للشكل ، وهى التى عليها الناس الآن بأن جعل للفتحة ألفا صغيرة مضطجعة فوق الحرف ، وللكسرة ياء صغيرة تحته ، وللضمة واوا صغيرة فوقه ، كان الحرف المحرك منونا كرر الحرف الصغير ، فكتب مرتين فوق الحرف أو تحته • وهذه الطريقة معقولة لما سبق من أن الفتحة جزء من الألف ، والكسرة جزء من الياء ، والضمة جزء من الواو ، ووضع للسكون الشديد (وهو ما يصاحب الادغام) رأس شين بغير نقط هكذا ـــ وللسكون الخفيف (وهو ما لا ادغام معه) رأس خاء بلا نقط هكذا حـ ، ووضع للهمزة رأس عين هكذا ء لقرب الهمزة من العين فى المخرج ، ولأن الألف جعلت علامة للفتحة ، ولألف الوصل رأس صاد هكذا صـ توضع فوق ألف الوصل دائما مهما كانت الحركة قبلها ، وللمد الواجب ميما صغيرة مع جزء من الدال هكذا مد • فكان مجموع ما وضعه الخليل ثمانى علامات : الفتحة والضمة والكسرة والسكون والشدة والمدة والصلة والهمزة هكذا :

(ـَ ـُ ـِ ـْ ـّ ـٓ ـٱ ـٔ)

وكلها حروف صغيرة أو أبعاض حروف بينها وبين مدلولاتها مناسبة ظاهرة ، بخلاف علامات أبى الأسود وأتباعه ، فانها مجرد اصطلاح لم يبن على مناسبة بين الدوال والمدلولات •

وبهذه الطريقة أمكن أن يجمع الكاتب بين الكتابة والاعجام والشكل بلون واحد ، واستعمل الخليل هذه الطريقة فى كتب اللغة والأدب دون القرآن حرصا على كرامة أبى الأسود وأتباعه واتقاءً لتهمة البدعة فى الدين .

ويفهم مما تقدم أن علامة المد توضع على كل حرف يزيد عن المد الطبيعى وخصصها المتأخرون بالألف المهموزة التى بعدها ألف محذوفة خطا موجودة لفظا فلا توضع على مثل جاء وبراءة .

وقد شاعت هذه الطريقة بين المشارقة ، وأبى الأندلسيون اتباعها فى أول الأمر محافظة على الاصلاح الأموى وكراهية للاصلاح العباسى ، وهو ادخال للسياسة فى العلم ولا شيء يفسد العلم أكثر من السياسة ، فظل المشـــارقة يشكلون بالحروف الصغيرة على طريقة الخليل والمغاربة يشكلون بالنقط على طريقة أبى الأسود ، حتى اذا ذهب الأمل من بنى أمية اتفقوا مع الشرقيين على اتباع اصلاح الخليل ، واصطلحوا على اصطلاحه ، وهو اصطلاح معقول، وصلح مقبول .

وقد تفنن أتباع الخليل بحذف جزء من رأس الياء المجعول علامة على الكسرة فصار هكذا ِ وحذف رأس الميم من علامة المد ، وأجازوا فى الضمتين أن تكتبا على الأصل هكذا ُُ أو ترد الثانية على الأولى هكذا ٌ وان توضع كسرة الحرف المشدد تحت الشدة فوق الحرف هكذا ِّ أو تبقى تحت الحرف مع وجود الشدة فوقه هكذا ـِّ وفى الهمزة المكسورة أن توضع مع كسرتها تحت الألف هكذا إ أو توضع الهمزة من فوق والكسرة من تحت هكذا أِ وبين الخليل والأخفش خلاف فى لام الألف المضفورة وشكلها هكذا لا فالخليل يضع الهمزة على الشعبة اليمنى ، لأن رسمها كان فى الأصل هكذا لـــا فاستتقل لمشابهة رسم الأعاجم فأميلت الألف الى اليمين فيجب أن تتبعها الهمزة والأخفش يضعها على الشعبة اليسرى لأن الرسم يتبع النطق فما ينطق به أولا يرسم أولا وما ينطق به ثانيا يرسم ثانيا ، وقد بينا فيما سبق أن رأى الخليل

لا يخالف هذه القاعدة العامة لأن العبرة فى هذه الألف بأسفلها لا بأعلاها ، وظاهر أن هذا الخلاف لا يجرى فى غير المضفورة مثل لا أو لا ، وقد وضع المتقدمون كتبا مستقلة فى النقط منها كتاب للخليل وكتاب لمحمد بن عيسى وكتاب لليزيدى ، ووضع ابن الأنبـــارى كتابا فى النقط والشكل ، ومثله الدينورى وأبو حاتم السجستانى رحمهم الله .

قواعد الشكل

كانت الكتابة قديما فى الشرق والغرب عارية عن الشكل ، ثم أدخل اليونان ومن حذا حذوهم من أهل أوربا علامات فى صلب كتابتهم ، بمعنى أنهم جعلوا بعد كل حرف متحرك حرفا آخر أو حرفين للدلالة على حركة ذلك الحرف ، فصارت الكتابة عندهم ضعف ما كانت عليه قديما بل أكثر من الضعف .

أما العرب وسائر الساميين فلم يدخلوا الشكل فى صلب الكتابة بل جعلوا له علامات توضع فوق الحرف أو تحته أو بجانبه ، ولم يشكلوا كل حرف ، وانما شكلوا من الحروف ما تلتبس حركته وتركوا أكثر الحروف غفلا ، ضنا بالوقت أن يضيع فيما لا فائدة له تذكر ، واقتصادا فى الأوراق ، فصارت الكتابة العربية بالنسبة لكتابة الأفرنج كأنها مختزلة ، يكتبها العربى فى أقل من نصف الزمن الذى يشغله الأفريجى فى كتابة ترجمتها ، على فرض أن الكاتبين فى درجة واحدة من السرعة ، وقد جربنا ذلك مرارا فلم تخطىء التجربة .

فالأفرنج سهلوا القراءة ، ولكنهم صعبوا الكتابة ، والعرب سهلوا الكتابة والقراءة معا . أما اذا تركوا الكتابة غفلا فقد سهلوا الكتابة وصعبوا القراءة ، وقد أجمع الأدباء على أنهم لا يتركون الكتابة غفلا الا اذا كانوا يكتبون لأنفسهم أو لنظرائهم ، أو كان المكتوب قصة ونحوها مما لا يعظم الخطر فى اللحن فيه .

والمتفق عليه عندهم أن يشكلوا ما يُشْكِل ، كما قال ابن مجاهد : ينبغى ألا يشكل الا ما يُشْكِل . فالقاعدة العامة عندهم تنحصر فى قولك : «اشكل ما يُشْكِل » وهنا تتفاوت الفِطن وتظهر مقادير الكتاب ، وقد فصل أهل الأدب هذه القاعدة فى عشرين قاعدة . واليك بيانها .

(١) لابد من وضع همزة القطع والشدة والمدة نحو أَخَذَ وآخَذَ ولمّا يأخذ ، وتركها يعد خطأ فى الكتابة ، لأنها تدل على حرف لا على حركة ، فكأنها من بنية الكلمة . ويمكن الاستغناء عن الشدة فى مثل الرحمن الرحيم ،

أى اذا دخلت أل على حرف من الحروف الشمسية وهى (ت ث د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ل ن) والحروف الباقية تسمى قمرية لأن اللام لا تدغم فيها كما تقول القمر ، بخلاف الشمسية فان اللام تدغم فيها كما تقول الشمس .

(٢) اذا زال اللبس بشكل موضع واحد من الكلمة فلا يشكل موضعان واذا زال بشكل موضعين فلا يشكل ثلاثة ، فلفظ « امتحن » ان كان ماضيا مبنيا للمعلوم لا يشكل لأن صيغة الماضى المبنى للمعلوم هى الأصل ، وان كان مبنيا للمجهول تشكل منه التاء هكذا امتُحن ، وان كان مضارعا مبنيا للمعلوم تشكل الهمزة فقط هكذا : أَمتحن ، وان كان مبنيا للمجهول تشكل الهمزة والتاء هكذا : أُمتَحن ، وان كان فعل أمر تشكل التاء والحاء هكذا : امتَحِن .

(٣) اذا زال اللبس بشكل أحد موضعين فى الكلمة كلاهما كاف فرجح الموضع الأول تعجيلا للفائدة ، فلفظ « استخرج » اذا كان فعلا مضارعا مبنيا للمعلوم يكفى فى شكله ضم الجيم هكذا : أستخرجُ ، كما يكفى فتح الهمزة هكذا أَستخرج ، والثانى مرجح .

(٤) اذا كانت الكلمة محتاجة فى ذاتها لشكل كأُكرِم ، واتصلت بما يزيل اللبس كالسين فى نحو سأكرم استَغنَت عن الشكل .

(٥) حرف المعانى ملازمة حالا واحدة ، فلا تحتاج للشكل نحو بل ، وفى ، وعلى ، وانما يشكل منها ما يشتبه بغيره كلام الأمر ولام الابتدا وانْ وأنْ وانّ وأنَ وكأن ولكن وأَلا وألاّ وأُلا وأمّا وامّا ولمَا وَلما .

(٦) يشكل من الفعل الثلاثى الصحيح عينه كنَصَر وشرُف وحسِب ويقتُل ويفتَح ويضرِب وانصُر وافتَح واضرِب ، ويزاد فى الأمر همزة الوصل ان لم يغن عنها شىء آخر نحو فانصروهم ، ولا يشكل من المعتل شىء كقال وباع ويخاف وصم وادع وارم .

(٧) الفعل الرباعى كدحرج ووسوس وقاتل وحوصل ان كان ماضيا للمعلوم فلا يشكل لأنه الأصل الا اذا كان مهموزا كأكرَم أو مضعفا كقطّع فتوضع الهمزة والشدة وان كان مضارعا أو أمرا يشكل ما قبل الآخر كيدحرِج وحَوْصلِ .

(٨) الفعل الزائد عن أربعة أحرف كابيض وتعلم وانطلق واستخرج واحرنجم توضع همزته وشدته ، فان لم يكن فيه همزة ولا شدة يشكل ما قبل آخره فى غير الماضى ، أما الماضى فيترك غفلا لأنه الأصل .

(٩) يستغنى عن الشكل فى نحو أقام واستباح ويقيم ويستبيح وأقم واستبح . ويشكل مضارع نحو اعتاد واهتدى واستلقى اذا أسند للمتكلم .

(١٠) اذا بنى الفعل للمجهول فان كان ماضيا كحفِظ وتُعلم شكل الحرفان اللذان قبل الآخر ، وان كان مضارعاً كيُقطَع ويُتعلم ويُستخرج شكل أوله وما قبل آخره .

(١١) لا حاجة لشكل نحو قيل وبيع واختير واستفيد ويقال ويباع ويستفاد .

(١٢) الحرف الأول من الاسم ان كان مفتوحا كجعفر وسبع وبحر لا يشكل لأنه الأصل ، وان كان مضموماً أو مكسوراً شكل كقُنفد وقُفل ورِئبال وشِبل .

(١٣) ان كان الحرف الثانى من الاسم ساكنا كجعفر وفرْد وقفل يترك بلا شكل لأنه الأصل ، وان كان محركا شكل كسَبُع وطلَب ودِئل .

(١٥) تشكل عين المفعل كمنظَر ومجلِس وملعَب ، الا اذا كان معتل ومقتول ورام ومرمى ، وفى غير الثلاثى يشكل ما قبل الآخر فى اسم المفعول كممتحن ومرتضى ، ولا يشكل ما قبل الآخر فى اسم الفاعل لأنه الأصل .

(١٥) تشكل عين المفعل كمنظر ومجلس وملعب ، الا اذا كان معتل الآخر كمغزى وملهى .

(١٦) للفرق بين ضحكة لكثير الضحك ، وضحكة لمن يضحك منه ، يشكل الحرفان الأولان من الأول . ويشكل الحرف الأول من الثانى ، ومثله ولُعبَة ولعبة وأكلَه وأكله وما أشبهها .

(١٧) يشكل الحرف الأول من اسم المرة والهيئة كجَلسة وقَعدة وجِلسة وقعدة .

(١٨) يشكل الحرف الأول من نحو وَقود للمادة ووُقود للحدث ، ووَضوء ووُضوء وسَحور وسُحور وفَطور وفُطور ، وهلم جرا •

(١٩) تشكل الأعلام كلها عربية أو أعجمية كجُندب وسَلمى وبُصرى وبُزرجُمهر وبُختنَصر وبِنها ومَلطية ، الا اذا كان منقولا عن وصف لا يشتبه فيه كمنصور وسالم عبد الله •

(٢٠) المصاحف والكتب المقدسة تشكل كلها شكلا تاما ، زيادة فى الاحتياط ، وكذلك كتب تعليم الأطفال •

وهذه القواعد كلها غير حاصرة ، وانما هى كأمثلة تفصيلية للقاعدة العامة « أشكل ما يُشكِل » وليس فى تطبيقها صعوبة على من عنده مُسكة من الذوق • قال الشيخ طاهر الجزائرى فى ارشاد الألباء « الأمر أسهل مما تظن ، فارفع الوهم ، فهو الحجاب الأكبر للفهم » ومن أحسن الكتب المشكولة بمراعاة هذه القاعدة كتاب لسان العرب المطبوع فى بولاق ، وكتاب معجم البلدان المطبوع فى أوربا ، وكتاب الأمالى للقالى المطبوع فى بولاق ، فاسترشد بها وأحذُ حذوها ، أما القاموس المحيط فقد شكله مؤلفه شكلا تاما حتى ما هو بديهى الظهور ، وهو افراط لا داعى اليه ولا ضرر منه ، والذى لا يغتفر ترك مثل الصحاح المطبوع فى بولاق غُفلا من الشكل ، وهو مرجع فى اللغة كان يجب أن يشكل منه ما تمس اليه الضرورة • وما أصدق من قال : كلا طرفى الأمور ذميم و « خير الأمور الوسط » •

وقد ظهر فى مصر جماعة من الجهلاء غرتهم مظاهر المدنية الغربية واستهوتهم زخارف الحضارة الافرنكية ، وظنوا أنه يكفى للوصول الى مثلها تغيير الأزياء أو معاقرة الصهباء ، أو مخاصرة النسا ، أو تضييق الحجرات ، أو ركوب السيارات أو تغيير الكتابات • الى غير ذلك مما يسهل على البلداء ، ويروق فى أعين الجبناء ، ولا يكلفهم شيئا من العناء ، فجأر بعضهم بهجر العربية المضرية والاقتصار على المخاطبة والمكاتبة بالعامية ، ونعق بعضهم باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية وكتابتها من اليسار

الى اليمين ، واستحسن بعضهم محو النحو والصرف . فدعا الى ترك الحركات والاقتصار على صيغة واحدة للجمع وأخرى للمصدر وباب واحد للفعل وهلم جرا . واقترح بعضهم (وهم أكثرهم اشفاقا على العربية) تفريق الحروف وادخال الشكل فى صلب الكتابة بوضع ألف بعد الحرف للدلالة على فتحة وواو للدلالة على ضمة ، وياء للدلالة على كسرة وتكرير الحرف المشدد فيكتب لفظ « مستبد » على مذهبهم هكذا (م و س ت ا ب ى د د) وقالوا : أن هذا أسهل فى الجمع والطبع ، قلنا لهم : ماذا تصنعون فى نحو « أطيعونا » قالوا نكتبها هكذا (أ ط ى ى ع و و ن ا ا) فالياء الأولى لبيان الحركة والثانية للمد ، ومثله يقال فى الواوين والألفين . قلنا لهم : لعلكم نسيتم أن تكرار الحرف علامة لتشديده فما الفرق حينئذ بين الحرف المشدد وبين الممدود قالوا : نعدل عن هذا ونكتبها هكذا (ا ط ى ع و ن ا) فنضع علامة المد فوق الحرف كما يفعل الافرنج ، قلنا لهم : ماذا تصنعون فى مثل (يدا بيد) قالوا : نكتبها هكذا (ى ا د ا ن ب ى ى ا د ى ن) قلنا أخطأتم من وجهين :

الأول أن النون التى وضعتموها بدل التنوين تمنع من الوقف على الألف فى الكلمة الأولى ، ومن الوقف على الدال فى الكلمة الثانية .

والثانى أن تكرار الياء يوهم التشديد .

قالوا : نجيب عن الأول بأن نضع للتنوين حرف N بدل النون ليكون عرضة للحذف عند الوقف ، وعن الثانى بأن نضع نقطتين فوق الياء الثانية كما يصنع الأفرنج هكذا (ى ادا N ب ى ïى ا د ى N) قلنا فما تصنعون فى مثل « الرحمن الرحيم » قالوا : نكتبها هكذا (ارراحمان وارراحيمو) قلنا : أخطأتم من وجوه :

الأول أن حرف التعريف غير ظاهر .

والثانى أن حركة الاعراب جعلت واوا فيتوهم أنها من بقية الكلمة ، فلا تحذف فى الوقف .

والثـالث أن الهمزة صارت همـزة قطع ، فلا يفهم أنها تحذف عند الوقف . قالوا : نجيب عن هذه الاعتراضات بأن نكتبها هكذا (الراحمان OU الراحيم OU) فنضع علامة على الألف اشارة الى أنها ألف وصل ، ونكتب بعدها اللام على الأصل ، وان كانت واجبة الادغام فى الراء ، ونضع لحـركة الاعراب علامة أجنبية اشارة الى أنها تحذف عند الوقف . قلنا : لقـد فررتم من شىء فوقعتم فى أشياء .

أولها أنكم زدتم عدد الحروف الى الضعف .

وثانيها أنكم وضعتم فوق الحروف هذه العلامات (A و . . و .)

وثالثها أنكم أدخلتم بدل التنوين حرف N وهو حرف أجنبى .

ورابعها أنكم وضعتم فـوق الحـروف للدلالة على حـركات الاعراب (A و i و OU) وهى حركات أجنبية يجب أن تكرر بقدر تكرر الكلمات المعربة ، وكلمات اللغة العربية كلها معربة الا قليلا . ومتى صرنا الى هـذا ضـاع الاختصار وذهبت السهولة ، وأدى هـذا التغيير الى صعوبة فى الجمع والطبع وتلفيق فى الوضع . فقالوا : أنتم نصراء القديم وأعـداء الحديث . قلنا : عجزتم عن الجواب ، ففزعتم الى السباب ، فوجب اقفال الباب .

فقد علمت من هذه المناظرة أن الكتابة العربية اذا شكل من حروفهـا ما يشكل ، كانت غاية الغايات فى الاختصار والبيـان ، وليس فى الامكان أبدع مما كان .

أمثلة من الخطوط العربية القديمة

أدرجنا فيما سلف صورة كتاب النبى صلى الله عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط بمصر (شكل ١٨) وسندرج هنا ثمانى صور أخرى لكتابات قديمة كتبت فى القرن الأول والثانى والثالث والرابع من الهجرة ، لنتعرف منها أشكال الكتابة فى تلك القرون •

فالأولى صورة قطعة من اذن صرف مكتوب فى سنة ٨٧ للهجرة فى أيام دولة بنى أمية ، نقلناها من ورقة محفوظة بدار الكتب (المصرية) وها هى :



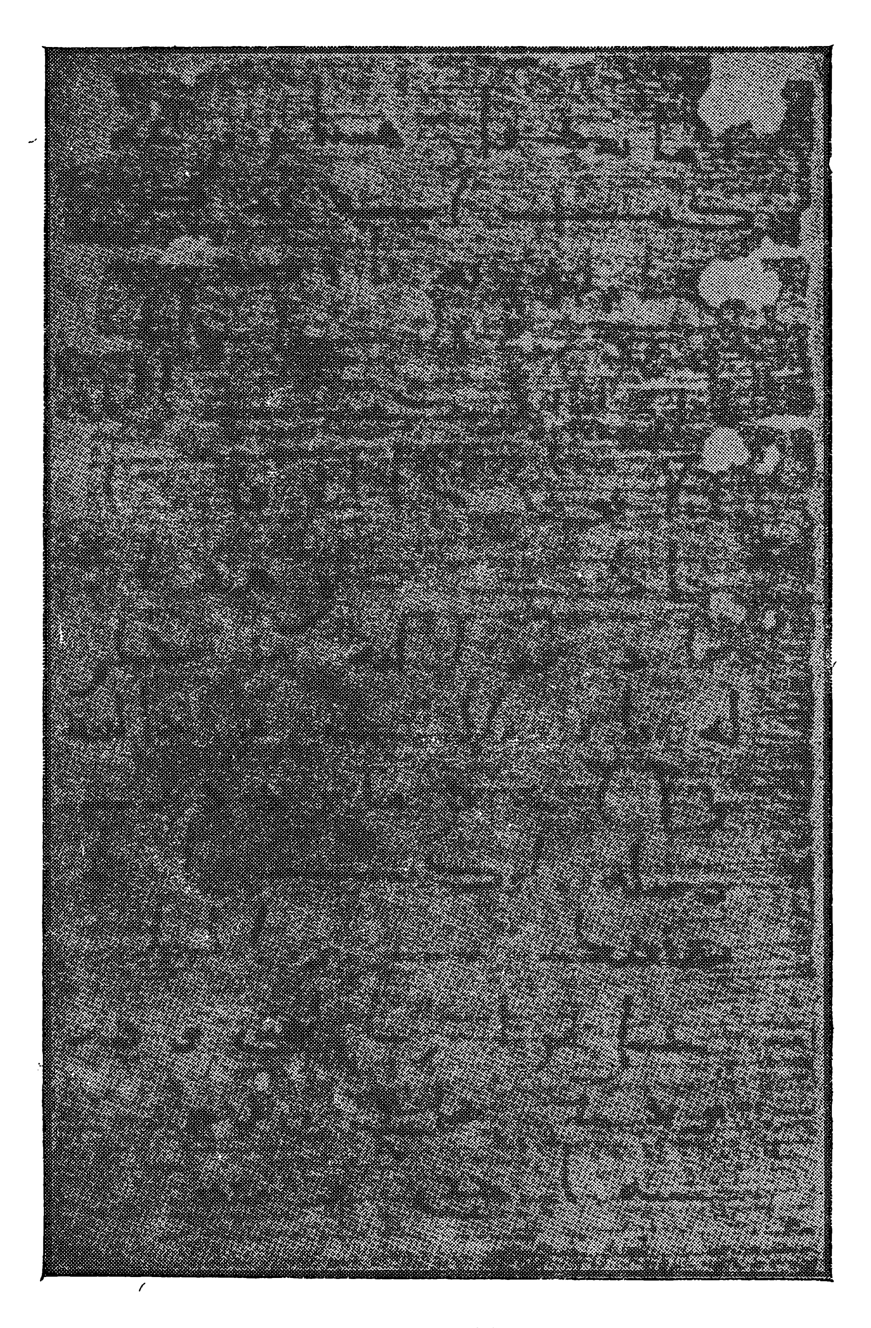
(شكل رقم ١٩)

وتوضيح ما يقرأ منها :

... من أهل مدينة ...
ئة أردب وسبعة عشر
ب قمح يوفيانها فى الهرى
. . . .
وكتبه عبد الله بن جرير فى ذى القعدة
سنة سبع وثمانين
ها ست مائة وسبعة عشر وثلثى أردب قمح

ويظهر أن السطر الأخير يعبّر عن المجموع المعروف الآن (بالتفقيطة) وكان قبل هذا السطر عدة أسطر مكتوبة بالرومية على عادة كتاب دولة بنى أمية فى أول الأمر ، فتركناها لأنها لا تتّصل بغرضنا الآن . ويتضح من هذه الصورة أن الخط كان غفلا عن النقط ، ولكنه كان قد انحرف عن الهيئة الكوفية الى الهيئة التى هو عليها الآن ، ولعل ذلك كان خاصا ببعض الكتاب .

والثانية صورة أمر بارجاع غرباء خرجوا من أرض هشام بن عمر الى أرض المكتوب له ، مكتوب فى سنة ٩١ هجرية فى أيام الدولة الأموية أيضا منقولة من ورقة محفوظة بدار الكتب المصرية ، وها هى :



(شكل رقم ٢٠)

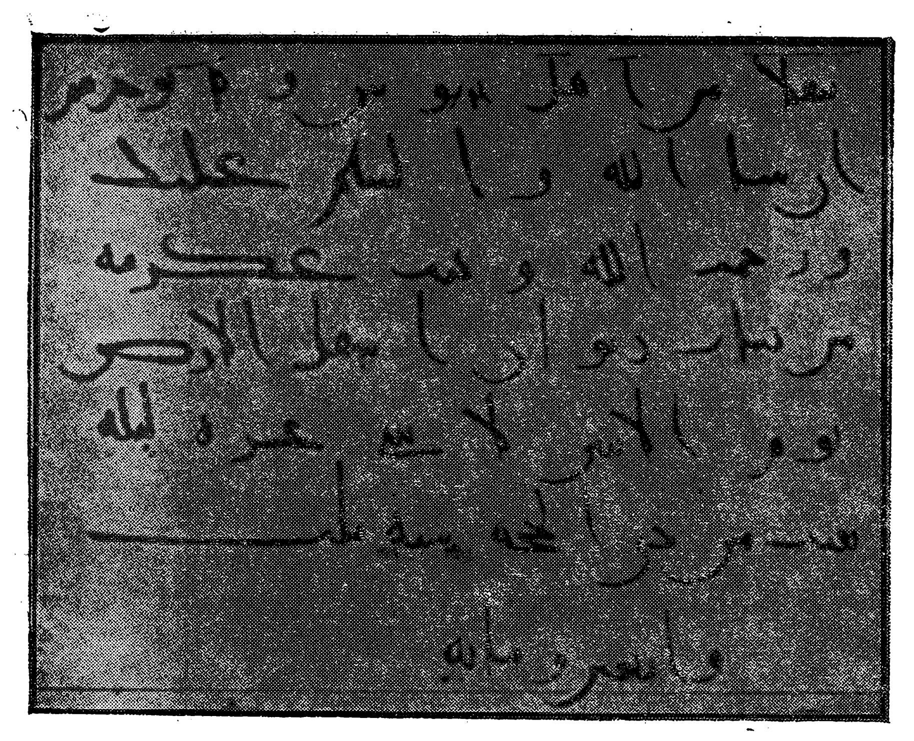
وتوضيح ما يقرأ منها :

. . . . .

أما بعد فان هشام بن عمر
كتب الى يذكر
جالية له بأرضك
وقد تقدمت الى
العمال وكتبت اليهم
ألا يؤوا جاليـا
فاذا جاءك كتابى هـذا
فادفع اليه ما كان
له بأرضك من جاليته
ولا أعرفن ما رددت
رسله أو كتب الى
يشتكيك والسلام
على من اتبع الهدى وكتب
يزيد فى جمـادى الآخرة
سنة احدى وتسعين

وهذا المثال كالمثال السابق منحرف عن الهيئة الكوفية الى الهيئة التى نحن عليها الآن وخال من النقط .

والثالثة صورة قطعة من خطاب كتب فى سنة ١٤٣ نقلناها من أصلها المحفوظ بدار الآثار ببرلين المأخوذ من حفائر الفيوم وهى :



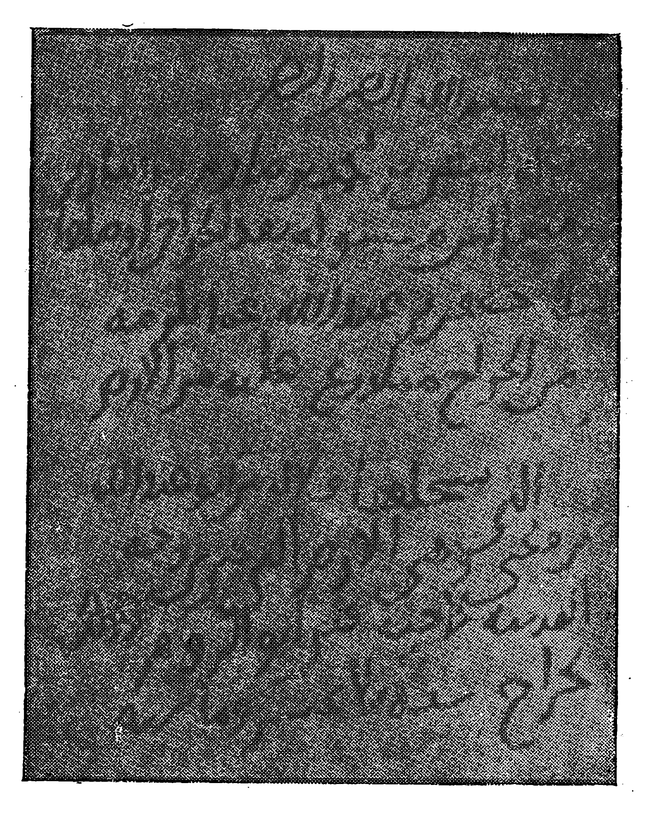
(شكل رقم ٢١)

وتوضيحها :

تنقلا من أهـل بوش وأبو جرهم
ان شـاء الله والسـلام عليك
ورحمـة الله وكتب عـكرمة من
كتـاب ديوان أسـفل الأرض
يـوم الاثنين لاثنتى عشرة ليـلة
بقيت من ذى الحجة سـنة ثلاث
وأربعين ومائة •

وفى هذه الصورة بعض الرجوع الى الهيئة الكوفية واهمال نقط الاعجام

والرابعة صورة مخالصة من خراج أرض كتبت بعد سنة ٢١٣ هجرية منقولة من ورقة محفوظة بدار الآثار ببرلين ، وأصلها مأخوذ من الفيوم بمصر وتوضيحها



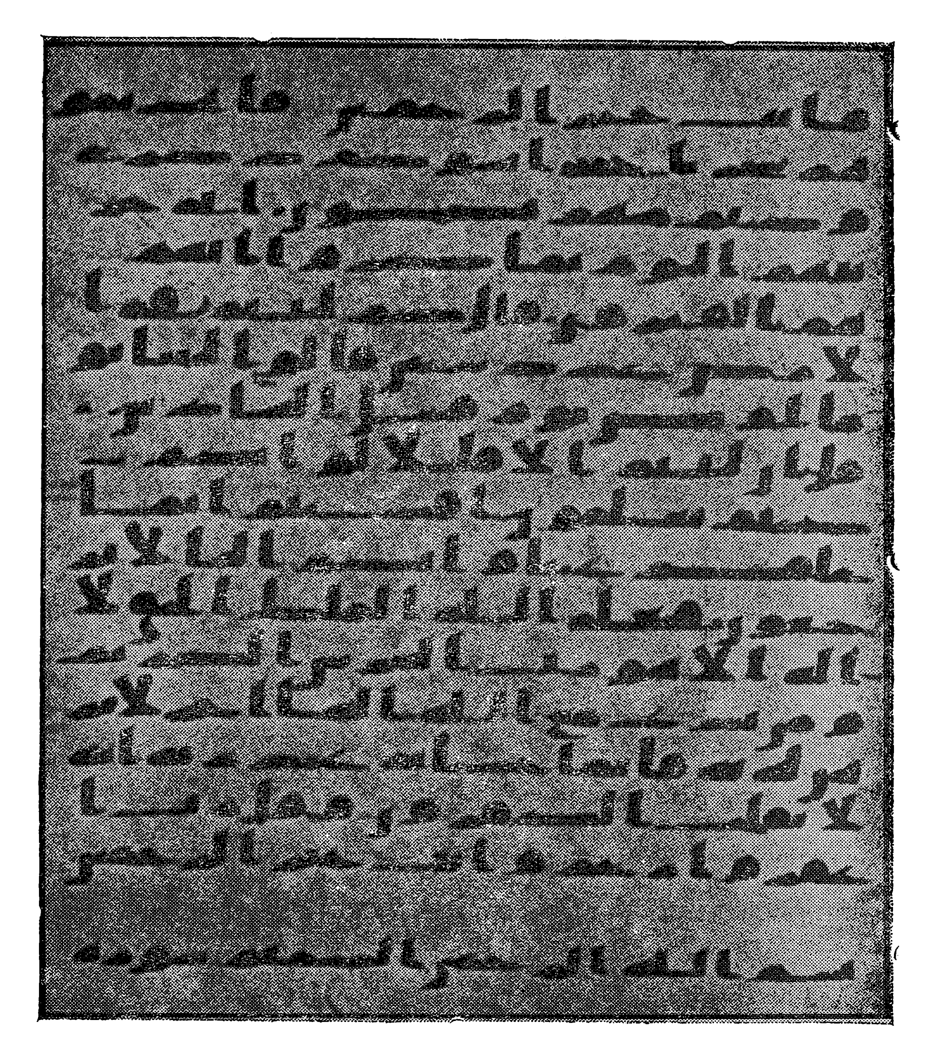
(شكل رقم ٢٢)

وها هى :

بسم الله الرحمن الرحيم
براءة لبشر بن محمد بن صارم من دينارين
مثقالين معسولة نقد الخراج أوصلها
الى جعفر بن عبد الله عما يلزمه
من الخراج مما زرع عليه من الأرض
التى سجلها ولآله من أبو عبد الله
بن مكى وهى الأرض التى بحرى وجه
المدينة ناحية عبر أبو الروم وذلك
لخراج ثلاثة عشر ومائتين .

ويظهر منها أن النقط كان مستعملا للاعجام ، ولكن فى بعض الحروف دون سائرها ، وفيها من فساد اللغة ما يشبه كتابة الصيارف الآن ، وخطها فى الجملة يقرب من الخطوط المستعملة الآن الا بعض الألفات .

والخامسة صورة صفحة من مصحف كتب فى القرن الثانى ، عثر عليه فى جامع عمرو بن العاص بمصر ونقل الى دار الكتب المصرية وها هى :



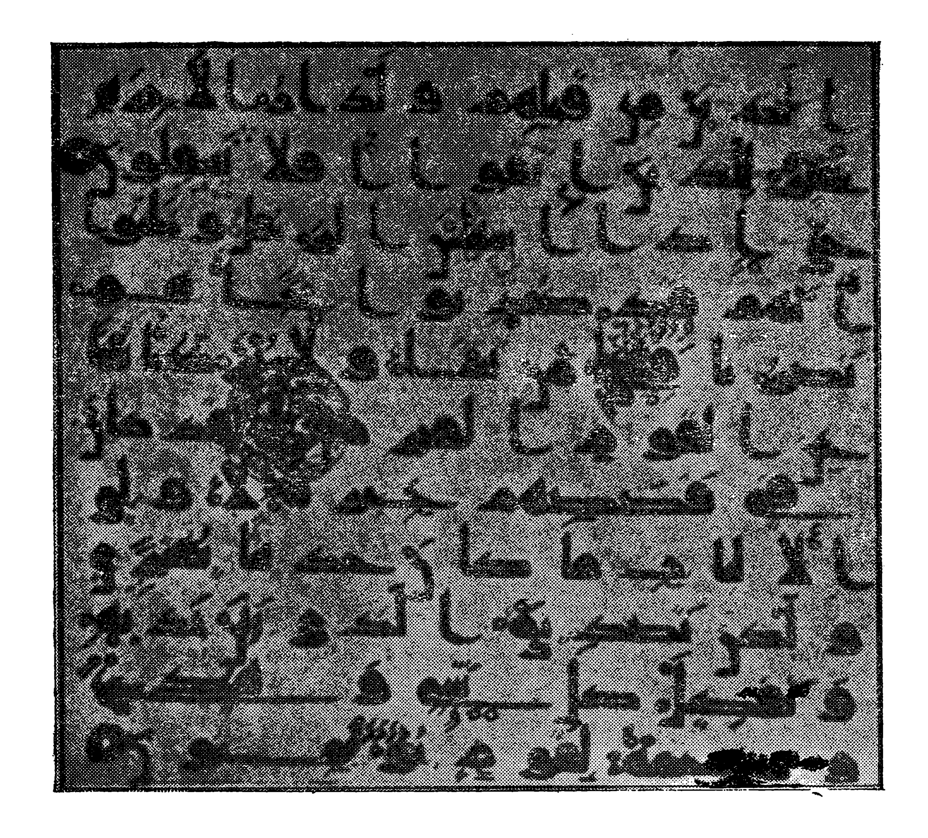
(شكل رقم ٢٣)

وتوضيحها :

وانت ارحم الراحمين فاتخـــذتمو
هم سخريا حتى أنســـوكم ذكرى
وكنتم منهم تضحـــكون انى جـز
يتهم اليـــوم بما صـــبروا انهم
هم الفــــائزون قال كم لبثتم فى ا
لأرض عـــدد سنين قالوا لبثنــا يو
ما أو بعض يوم فسـئل العـــادين
قال ان لبثتم الا قليـــلا لو أنـــكم
كنتم تعلمـــون أفحســـــبتم انما
خلقنـــاكم عبثا وانكم الينـــا لا تر
جعون فتعـــالى الله الملك الحق لا
اله الا هو رب العـــرش الـــكريم
ومن يدع مع الله الهـــا آخر لا بر
هان له به فانما حسابه عند ربه انه
لا يفلح الـــكافرون وقـــل رب ا
غفر وارحم وانت خـــير الراحمين
بسم الله الرحمن الرحيم ســـورة

وفى هذه الصورة تدل على أن أهل الكوفة كانوا أتقنوا خطهم وارتكزوا فيه على قواعد ثابتة ، فانتشر فى الآفاق ، ولا ســـيما فى كتابة المصاحف ، وليس فى هذه الكتابة اعجام ولا شكل .

والسادسة صورة صفحة من مصحف كتب فى القرن الثانى أو الثالث ، عثر عليه فى جامع عمرو بن العاص بمصر ونقل الى دار الكتب المصرية وها هى :



(شكل رقم ٢٤)

وتوضيحها :

الذين من قبلهم ولدار الآخرة
خير للذين اتقوا أفلا تعقلون
حتى اذا استيأس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا جاءهم
نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد
بأسنا عن القوم المجرمين لقدكان
فى قصَصهم عبرةٌ لأولى
الالباب ما كان حديثا يفترى
ولكن تصديق الذى بين يديه
وتفصيل كل شىء وهدى
ورحمة لقوم يؤمنون .

وهذه الصورة من أعجب ما رأينا ، لأن نقط الاعجام فيها جرات صغيرة مرسومة بسن القلم ، والشكل فيها بالطريقتين معا طريقة الخليل وطريقة أبى الأسود بالنقط الحمراء الخالية الوسط (ولكنها فى شكلنا هذا سوداء) وفيها اشارات القراءات المختلفة .

والسابعة صورة صفحة من مصحف كتب فى القرن الثالث ، عثر عليه بالمسجد الحسينى بمصر ونقل لدار الكتب المصرية وها هى :



(شكل رقم ٢٥)

وتوضيحها :

جالا ونسـاء فالذ
كر مثـل حـظ
الأنثيـين يبين الله
لـكم ن تصلو
ا والله بـكل
شىء عليم

وخط هذا المصحف كوفى جميل وعار عن نقط الاعجام ومشكول على

طريقة أبى الأسود بالنقط الحمراء المسدودة الوسط (ولكنها فى شكلنا هذا سوداء) .

واشتهر هذا المصحف بأنه لجعفر الصادق ، وليس لدينا ما يؤيده هذه الشهرة .

والثامنة صورة قطعة من الصفحة الأخيرة من كتاب غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ المحفوظة فى خزانة الأزهر المكتوب فى سنة ٣١١ هجرية .



وتوضيحها :

وفى حديث آخر
وسئل عن قوله كأنه جمّع" فيه خيلان" قال شبهه بالكف • • •
كما تقول ضربه بجمع كفه أى ضربه بها مضمومة ه وسئل • • •
أيضا عن قوله اثناخلة من الدعاءقال المنتخلة • • • • • • •
آخر الكتاب والحمد لله كثيرا
بسم الله صلاته على نبيه محمد النبى وآله وسلم كثيرا
وكتب أبو الخطاب الحسين بن عمر العيدى وهو يشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله
وفرغ من نسخته فى المحرم من سنة احدى عشرة وثلثمائة
وحسبنا الله ونعم الوكيل

أما الخطوط فى القرن الخامس وما بعده فكثير الوجود ، ولذلك لم نر حاجة لنقل صور منها • ويفهم من صور الخطوط القديمة أن المتقدمين ما كانوا يعبئون بالوقوف فى آخر السطر على بعض الكلمة والابتداء فى السطر التالى بباقيها ، وقد تحاشى المتأخرون ذلك ، فتكلفوا تضييق الحروف أو توسيعها فى آخر السطر ، ولا يزال الافرنج فى كتاباتهم على الطريقة القديمة ، فمتى انتهى السطر وقفوا ووضعوا علامة وصل هكذا ــ وبدءوا السطر التالى بباقى الكلمة ، وهذه الطريقة أبعد من التكلف ، وفيها سهولة على الكاتب ، لكن فيها شىء من الصعوبة على القارىء ، ورعاية مصلحة القارىء أولى •

أصناف الأقلام العربية فى صدر الاسلام

أخذ العرب بعد غزوة بدر يتسابقون فى تعلم الخط ، ولم تكد مصاحف عثمان بن عفان تصل الى الأمصار حتى تلقفها النساخ ، فأجادوا نقلها وتنافسوا فى كتابتها ، وتفننوا فى خطها ، فظهرت مواهب الله على صفحات المصاحف وتجلت آيات البراعة فى آياتها ، واتخذ نساخ كل صقع لهم طريقة فى الكتابة تميزت باسم خاص ، فمن ذلك الخط المدنى والمكى والبصرى والكوفى والأصفهانى والعراقى والمشق والتجاويد والمصنوع والمائل والراصف والسلواطى والسحلى والقيراموز وهو الذى تولد منه الخط الفارسى .

وكان الخط المدنى ثلاثة أصناف ، وهى : المدور والمثلث والتئم ، ومعنى التئم فى الأصل المولود مع آخر فى بطن واحد ، يقال : فلان تئم فلان .

ويسمى الخط العراقى بالمحقق وبالوراقى نسبة الى الوراقة أو الى الوراق والوراقة جمع أوراق ونسخ الكتب فيها ومقابلتها على أصلها وتجليدها ، ومن تكون هذه صناعته يسمى وراقا ، فكان الوراقون فى الصدر الأول بمنزلة أصحاب المطابع الآن .

وفى أواخر دولة بنى أمية وأوائل الدولة العباسية ظهر فى أقلام الكتابة قلم كبير يقال له « الجليل » يكتب به فى المحاريب وعلى أبواب المساجد وجدران القصور ونحوها ، وهو ما يسميه العامة الآن الخط الجلى ، وكانوا يتخذونه من لب الجريد الأخضر ثم اتخذوه من القصب الفارسى ، وأهل مصر اتخذوه من البوص الأبيض الغليظ المجلوب من جزائر الصعيد ، ولابد فيه من ثلاثة شقوق لجرى المداد فيه وتسهيل الكتابة به ، وهو أوسع الأقلام مساحة فى العرض وأقل ما تكون مساحة رأسه عند موضع القط ٢٤ شعرة من شعر البرذون معترضات بعضها بجانب بعض ، ويسمى حينئذ قلم الطومار ، فقلم الطومار أصغر أنواع القلم الجليل ، ولا يقوى على الكتابة

بالجليل الا الرجل القوى بعد التعلم الشديد والمرون الطويل ، وكان يوسف المعروف بلقوة من قدماء الكتاب يقول : « قلم الجليل يدق صلب الكاتب » وسبب ذلك أن الكاتب يكتب به واقفا ٠

والطومار الورقة الكبيرة لم يقطع منها شيء ، ويسمى الآن «فرخ ورق» ، وكان المعروف منه فى الدولة العباسية والدولة الفاطمية خمسة أنواع :

الطومار البغدادى وعرضه ذراع مصرى واحد بالذراع المعروف بالبلدى

والطومار الحموى وهو دون قطع البغدادى بقليل ٠

والطومار الشامى المعتاد وهو دون قطع الحموى بقليل

والطومار المصرى وهو دون قطع الشامى بقليل

والطومار المغربى وهودو ن قطع المصرى بقليل

وقد جعل المتقدمون أصول الأقلام أربعة :

قلم الطومار وعرض قطته ٢٤ شعرة معترضة من شعر البرذون كما سبق

وقلم الثلثين وعرض قطته ١٦ شعرة لأنه ثلثا قلم الطومار ٠

وقلم النصف وعرض قطته ١٢ شعرة لأنه نصف قلم الطومار ٠

وقلم الثلث وعرض قطته ٨ شعرات لأنه ثلث قلم الطومار ٠

واتفقوا على أن طول ألفات الكتابة فى كل قلم بمقدار مربع عرضه ، وعلى ذلك يكون طول الألف فى قلم الطومار ٥٧٦ شعرة وهى حاصل ضرب ٢٤ فى ٢٤ وطولها فى قلم الثلثين ٢٥٦ شعرة وفى قلم النصف ١٤٤ شعرة وفى قلم الثلث ٦٤ شعرة ٠

والألف هى أساس الحروف ، فطول باقى الحروف يعرف بنسبتها لها ، ولكل قلم من هذه الأقلام الأربعة ثقيل وخفيف وأوسط ، فالثقيل ما كان الى الشبع أميل والخفيف ما كان الى الدقة أقرب والأوسط ما كان بين الثقيل والخفيف ٠

فتصل الأقلام الأربعة بهذا الاعتبار الى اثنى عشر نوعا ، فيقال مثلا : خفيف الثلثين وثقيل النصف وأوسط الثلث ٠

ومن هذه الأقلام الأصلية تولدت عدة أقلام :

منها قلم الديباج وقلم السجلات أو مختصر الطومار ، وتولدا من قلم الطومار .

ومنها قلم الخِرفاج (وهو فى الأصل رغد العيش) وتولد من الديباج .

ومنها قلم السميعى وقلم الأشربة (جمع شِرب) وتولدا من أوسط السجلات .

ومنها الزنبورى والمفتح والحرم وتولدت من ثقيل الثلثين .

ومنها المؤامرات أو غبار الحَلبة أو الجناح وتولد من الثلثين .

ومنها العهود وتولد من قلم الحرم .

ومنها المدور الكبير أو القلم الرياسى والمدور الصغير وخفيف الثلث ، وتولدت من مفتح النصف .

ومنها قلم الرقاع ، وتولد من خفيف الثلث .

ومنها قلم النرجس وقلم الريحان وقلم المنثور والقلم المرصع والقلم اللؤلؤى وقلم الوشى وقلم الحواشى والمدمج والمقترن والمعلق والمحقق والمسلسل والجوانحى وقلم القصص ، قال ابن الوحيد قطة الريحان أشد القطات تحريفا وقطة الرقاع أقلها تحريفا .

وكان لكل قلم من هذه الأقلام حد محدود وعمل خاص .

فقلم الطومار كان لتوقيع الخلفاء على التقاليد والمكاتبات والكتابة الى الخلفاء والسلاطين .

وقلم مختصر الطومار وهو بين الطومار والثلثين لكتابة اعتماد الوزراء والنواب على المراسيم ولكتابة السجلات المصونة .

وقلم الثلثين كان للكتابة عن الخلفاء الى العمال والأمراء فى الآفاق .

والمدور الصغير كان لكتابة الدفاتر ونقل الحديث والشعر .

والأشربة كان للكتابة الى مهندسى الرى .

وقلم المؤامرات كان لاستشارة الأمراء ومناقشتهم .

وقلم العهود كان لكتابة العهود والبيعات .

وقلم الحرم كان للكتابة الى الأميرات من بيت الملك .

وقلم غبار الحلبة كان لكتابة بطائق الحمام .

وهكذا كان كل قلم معدا لنوع من الكتابة كما تكتب الآن الانعامات بالرتب بقلم خاص ، والأوراق الديوانية بقلم خاص ، وألواح الحجر بخط آخر ، وكتب التعليم بآخر ، وكذلك كانت مقادير الورق ، وهى سبعة :

الطومار الكامل لعهود الخلفاء وبيعاتهم ونحو ذلك .

والثلثان للكتابة الى الخلفاء والملوك

والثلث للعمال والكتاب ونحوهم

والنصف للأمراء والقواد ونحوهم

والربع للتجار ومن فى طبقتهم .

والسدس للحساب والمساح ومن فى مرتبتهم .

والبطائق ، وهى ثلاثة أصابع لتعليقها فى جناح حمام الرسائل .

تاريخ تجويد الخط العربي

أول من أجاد خط المصاحف خالد بن أبي الهياج وكان منقطعا للكتابة للوليد بن عبد الملك يكتب له المصاحف وأخبار العرب وأشعارهم وهو الذي كتب بالذهب على محراب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة سورة والشمس وضحاها وما بعدها من السور الى آخر القرآن .

واشتهر بعده باجادة كتابة المصاحف مالك بن دينار من كبار الزاهدين المتوفى سنة ١٣١ وهو من موالي أسامة بن لؤي ، ولم تكن له حرفة يعيش بها سوى كتابة المصاحف .

واشتهر بعدهم جماعة في عصر ابن النديم صاحب كتاب الفهرست منهم المعتصم أبو حدى الكوفي من نوابغ الكوفيين .

واشتهر بعدهم جماعة في عصر ابن النديم صاحب كتاب الفهرست منهم شراشير المصري وأبو محمد الأصفهاني وأبو حديدة وأبو عقيل وأبو الفرج وابن مجالد وابن أبي فاطمة وابن الحضرمي والمسحور وابن حسن المليح وابن أم شيبان .

وأول من اشتهر بحسن الخط من كتاب الدولة رجل يقال له قطبة المحرر ، كان في أواخر دولة بني أمية ، وهو الذي بدأ في تحويل الخط العربي من الشكل الكوفي الى الشكل الذي هو عليه الآن ، وكان أكتب أهل زمانه ، وهو الذي اخترع القلم الجليل وقلم الطومار .

ثم اشتهر بعده رجلان من أهل الشام كانا يخطان الجليل ، واليهما انتهت جودة الخط في عصرهما ، وهما الضحاك بن عجلان ، وكان أكتب الناس في خلافة السفاح ، واسحق بن حماد وكان أكتبهم في خلافة المنصور والمهدي .

وأخذ عن اسحاق خلق كثير منهم يوسف المعروف بلقوة الشاعر وابراهيم ابن الحسن وعبد الجبار الرومي وأحمد الكلبي كاتب المأمون وعبد الله بن شداد وعثمان بن زياد ومحمد بن عبد الله المدني وصالح بن عبد الملك

التميمي الخراساني وعمرو بن مسعدة وأحمد بن أبى خالد وسليم خادم جعفر ابن يحيى وثناء جارية ابن فيوما وابراهيم الشحرى وأخوه يوسف .

وكان ابراهيم الشحرى وأخوه أخط أهل دهرهما ، وابراهيم هو الذى ولد من الجليل قلم الثلثين ثم ولد قلم الثلث ، ويوسف أخوه ولد من الجليل قلما أرق منـــه وهو القلم المدور الكبير ، فأعجب به ذو الرياستين الفضـــل ابن سهل وزير المأمون وأمر ألا يحرر الكتب السلطانية الا به وسماه القلم الرياسى وهو قلم التوقيع .

وعن ابراهيم الشحرى أخذ الأحول المحرر من صنائع البرامكة وهـــو الذى اخترع قلم النصف وخفيف الثلث واخترع قلما متصل الحروف بعضها ببعض حتى حروف «زر ذاود» وسماه المسلسل وقلما مقصوعا سماه الجوانحى وقلما لحمام الرسائل سماه غبار الحلبة وقلم المؤامرات وقلم القصص ، وقد رتب الأقلام وجعل لها نظاما ، الا أن خطه مع رونقه وبهجته لم يكن مهندسا . وكان ينافسه فى عصره وجه النعجة ومحمد بن معدان المعروف بابن درجان وأحمد بن محمد بن حفص ، فكان وجـــه النعجة يفوقه فى الجليل ومحمد ابن معدان يفوقه فى قلم النصف وأحمد بن محمد بن حفص يفوقه فى الثلث ، وكان ابن الزيات يعجب بخط أحمد بن محمد بن حفص ولا يكتب بين يديه بغيره .

واشتهر بحسن الخط فى مصر فى زمن ابن طولون طبطب المحرر ، كمـــا اشتهر بحسن الانشاء فيها ابن عبد كان ، فكان البغداديون يحسدون مصر عليهمـــا ويقولون « بمصر كاتب ومحرر ليس لأمير المؤمنين بمدينة السلام مثلهمـــا » .

وعن الأحول أخذ الوزير أبو على محمد بن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ وأخوه عبد الله بن مقلة المتوفى ســـنة ٢٣٨ ، ولم ير الناس أبدع من خطهما ، وكان أبو على وزيرا للمقتدر بالله وللقاهر بالله وللراضى بالله وهو الذى أتم مابدأ به قطبة المحرر من تحويل الخط من شكله الكوفى الى الشكل الذى هو عليـــه الآن ، وبه ضرب المثل فى الخط البديع ، قال الشاعر :

خط ابن مقـــلة من أرعاه مقلته ودت جوارحه لو أصبحت مقلا

وقال آخر :

فصاحة سحبان وخط ابن مقلة　　　وحكمة لقمـــان وعفـــة مريم
اذا اجتمعت فى المرء والمرءمفلس　　　ونادوا عليـــه لا يبـــاع بدرهم

وهو أول من هندس الحروف وقدر مقاييسها وأبعادها بالنقط وضبطها ضبطا محكما ، وله فى قواعد الخط رسائل وتآليف حسنة ، وعنه انتشر الخط البديع فى مشارق الأرض ومغاربها ، وكل ذلك لم يغن عنه شيئا ، فقد وشى به حاجب بن رائق للراضى فقطع يده اليمنى ، فقال : « يد خدمت بها الخلفاء وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين تقطع كما تقطع أيدى اللصوص » وقال :

اذا ما مات بعضك فابك بعضا　　　فان البعض من بعض قـــريب

وقال وأجاد :

ما سئمت الحيـــاة لـــكن توثقـ　　　ـت بايمـــــانهم فبـــانت يمينى
بعت دينى لهم بدنيـــاى حتى　　　حرمونى دنيـــاهمو بعـــد دينى
ولقد حطت ما استطعت بجهدى　　　حفظ أرواحهم فمـــا حفظونى
ليس بعـــــد اليمين لـــذة عيش　　　يا حيـــــاتى بانت يمينى فبينى

ثم قطع بعد ذلك لسانه ، وحبس ، فكان يستقى الماء من البئر ، ويجذب الرشاء بيده جذبة وبفيه أخرى ، وبقى فيه الى أن مات .

وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبو عبد الله محمد بن أسد بن على بن سعيد القارىء المتوفى سنة ٤١٠ ومحمد بن السمسمانى .

وعن ابن أســـد أخذ أبو الحسن على بن هلال البغدادى المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ وهو الذى أكمل قواعد الخط وهندسته واخترع عدة أقلام ولم يوجد فى المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله أو قارب حتى ضرب به المثل أيضا . قال الشاعر :

كتاب كوشى الروض خطت سطوره　　　يد ابن هلال عن فم ابن هـــلال

ومراد الشاعر بابن هلال فى آخر البيت أبو اسحاق الصابىء ، لأن أباه اسمه هلال أيضا • ولما مات رثاه بعض العلماء بقوله :

استشعر الكتاب فقدك سالفا   وقضت بصحة ذلك الأيام

فلذاك سودت الدوى كآبة   أسفا عليك وشقت الأقلام

وعن ابن البواب أخذ محمد بن عبد الملك ، وأخذت عن ابن عبد الملك الشيخة المحدثة الكاتبة شهدة بنت أحمد الابرى الدينورى المتوفاة ببغداد سنة ٥٧٤ ، وأخذ عنها الخط الجيد والحديث الصحيح خلق كثير من العلماء ، ومنهم أمين الدين ياقوت الملكى المتوفى سنة ٦١٨ كاتب السلطان ملكشاه ، وكان مولعا بنسخ كتاب صحاح الجوهرى ، كتب منه نسخا كثيرة كل نسخة فى مجلد واحد ، وكان يبيع النسخة بمائة دينار •

وممن اشتهر بجودة الخط ياقوت الرومى الحموى البغدادى المتوفى سنة ٦٢٦ وهو صاحب معجم البلدان ومعجم الأدباء ، وياقوت المستعصمى المتوفى سنة ٦٩٨ وقد انتشر خطه فى الآفاق ، واعترف مسابقوه بعجزهم عن اللحاق •

وعن أمين الدين ياقوت الملكى أخذ ولى الدين على بن زنكى المشهور بالولى العجمى ، وعنه أخذ عفيف الدين محمد الحلبى ، وعنه أخذ ولده عماد الدين الحلبى ، وعنه أخذ شمس الدين محمد بن أبى رقيبة محتسب الفسطاط ، وعنه أخذ شهاب الدين غازى ، وعنه أخذ شمس الدين محمد الوسمى ، وعنه أخذ عبد الرحمن بن الصائغ •

وممن برع فى الخط وتفنن فيه عبد الله الصيرفى ويحيى الصوفى والشيخ أحمد السهروردى ومبارك شاه السيوفى ومبارك شاه القطب وأسد الله الكرمانى •

وعن ابن الصائغ أخذ خير الدين المرعشى ، وعنه أخذ حمد الله ابن الشيخ الأماسى ، وعنه أخذ ولده مصطفى دده شلبى ، وعنه أخذ ولده الدرويش محمد ، وعنه أخذ بير محمد ، وعنه أخذ حسن افندى الاسكدارى ، وعنه

أخذ خالد افندى ، وعنه أخذ الدرويش على ، وعنه أخذ حسين افندى الجزائرى ، وعنه أخذ السيد محمد أفندى النورى ، وعنه أخذ اسماعيل افندى وهبى ، وعنه أخذ عثمان افندى البقلجى ، وعنه أخذ ابراهيم افندى مؤنس ، وعنه أخذ ولده محمد افندى مؤنس ، وعنه أخذ محمد بك جعفر وهو أستاذنا وأستاذ كل من تعلم فى المدارس المصرية الأميرية .

سندنا فى الخط

نذكر سندنا فى الخط لأنه سند عام لكل من تعلم من المصريين فى المدارس الأميرية ممن عاصرناهم ، وهذه أسماء رجاله متصلة من لدن أستاذنا محمد جعفر بك الى الحسن البصرى من كبار التابعين :

محمد مؤنس افندى

محمد جعفر بك

والده ابراهيم مؤنس افندى

عثمان افندى البقلجى

اسماعيل وهبى افندى

السيد محمد النورى افندى

حسين الجزائرى افندى

الدرويش على

خالد افندى

حسن الاسكدارى افندى

بير محمد

الدرويش محمد

والده مصطفى دده شلبى

والده حمد الله بن الشيخ الأماسى

خير الدين المرعشى

عبد الرحمن بن الصائغ

شمس الدين محمد الوسمى

شهاب الدين غازى

شمس الدين محمد بن أبى رقيبة

عماد الدين الحلبى

والده عفيف الدين محمد الحلبى

ولى الدين على بن زنكى

أمين الدين ياقوت الملكى

شهدة بنت أحمد الابرى

محمد بن عبد الملك

على بن هلال المعروف بابن البواب

محمد بن أسد بن على القارىء

الوزير أبو على محمد بن مقلة

الأحول المحرر

ابراهيم الشحرى

اسحاق بن حماد

الحسن البصرى

صحائف العرب

صناعة الورق قديمة فى الصين ، يصنعه الصينيون من الحشيش والكلأ ، وعنهم أخذ الناس هذه الصناعة ، وكان أهل الهند يكتبون قديما على نسيج الحرير الأبيض ، وكان الفرس يكتبون على الجلود المدبوغة وعلى اللخاف وهى الحجارة الرقيقة البيضاء ، وعلى عسيب النخل وهو المعروف بالقحوف ، وعلى عظم أكتاف الحيوان •

وكان العرب لقربهم من الفرس يكتبون أيضا على الجلود واللخاف والعسيب وعظام الأكتاف وفى القليل على نسيج الحرير الأبيض المجلوب من الهند وفى النادر على ورق البردى المجلوب من مصر • ومن الجلد المدبوغ نوع رقيق يسمى رقا ، وكانت الكتابة فيه معروفة عند العرب ، وقد أجمع الصحابة رأيهم على كتابة القرآن فيه لجمعه بين الرقة والمتانة وطول البقاء ولغلبة الأمية عند العرب كانوا يكتبون فى أكثر الأحيان على العسيب وعظام الأكتاف والجلود الغليظة لتيسرها ، وما كانوا يحرصون على اقتناء الحرير الأبيض الهندى والبردى المصرى والرق الفارسى الا اذا جاءهم عفوا فى عارض تجارة أو غنيمة اغارة ، وقد ثبت أن الصحابة كتبوا المصاحف فى الرقوق ، وأن للعرب قبل الاسلام صحفا مشهورة وصكوكا معروفة ، وأنهم علقوا القصائد مكتوبة على الحرير تنويها ببراعتها وتكريما لأصحابها وتخليدا لذكر انتصارهم فى حومة البيان ، كما تبنى الآن العمد السامقة والأقواس العالية لتخليد ذكر انتصار الأبطال فى حومة القتال ، حتى يتساءل عنها الرائح والغادى ، فتذاع أخبارها وتعرف أسباب اقامتها • اذا وعيت هذا عرفت أن انكار بعض المعاصرين لكتابتها وتعليقها تحكم يأباه النقل ولا يقتضيه العقل ولما ولى معاوية الخلافة أمر باستعمال الورق فى ديوان الانشاء تمييزا له عن باقى دواوين الدولة واستمر العمل على ذلك فى الدولة الأموية وصدر الدولة العباسية الى أن جاء الرشيد فأمر باستعمال الورق فى سائر دواوين الدولة لما رآه من قبول الجلود للمحو والاثبات • واشتغل العرب فى زمن الرشيد

بصنع الورق والاتجار فيه وهجر الناس استعمال الجلود ، واختص الورق بالكتابة فى دار الخلافة وغيرها من بلاد الاسلام •

وقد أسلفنا أن الورق البغدادى كان عرضه ذراعا مصريا ، وأنهم كانوا يكتبون فى الطوامير الصحيحة وفى ثلثيها وثلثها وسدسها ونصفها وربعها وفى ثلاثة أصابع منها ، وقد أنشئت فى مصر معامل الورق المتخذ من الخرق البالية فى أيام الدولة الطولونية وما بعدها ، وهجر استعمال ورق البردى والجلود ، وقد أمر الملك المؤيد بصنع ورق بمصر عرضه ذراع ونصف •

واشتهر فى مدة دولة المماليك البحرية الورق المنصورى ، وعرضه أقل من عرض الورق الشامى ، وأكبر من المصرى المعتاد ، ودون المصرى المعتاد الورق المغربى ، ثم انقطع عمل الورق بمصر الى أن أنشىء فى مصر معمل للورق ، وبقى مدة من الزمن وقد رأيناه وشاهدنا العمل فيه ، ثم عفت آثاره مع غيره من المعامل الكبرى ، اكتفاء بما يرد من الخارج على أيدى التجار •

ويسمى ورق الكتابة صحائف وطروسا ومهارق وقراطيس وكواغد ، جمع صحيفة ومهرق وقرطاس وكاغد •

المطبعة

كان تحصيل العلم فى صدر الاسلام بالرواية عن الحفاظ والتلقى عن الأشياخ المنقطعين للارشاد ، فكان العلم بسبب ذلك محصورا فى طبقة خاصة ، وهم الذين أوتوا نصيبا من قوة الحفظ وسرعة الاستظهار ، وكانوا يكرهون كتابة الحديث ويرونها بدعة فى الدين .

ولما كثر المجتهدون ، واتسعت العلوم ، أجازوا الكتابة ، ونسخوا المؤلفات ، وعولوا على مراجعتها عند الحاجة ، ولم يتركوا الرواية والحفظ بالمرة ، بل كان جل اعتمادهم عليه ، لأن الأوراق تسرق وتحرق وتغرق ، قال بعضهم : العلم ما عبر معك النهر ، وقال الشافعى :

علمى معى حيثما يممت ينفعنى صدرى وعاء له لا بطن صندوق

ان كنت فى البيت كان العلم فيه معى أو كنت فى السوق كان العلم فى السوق

وكان ضعفاء الحفظ يكتفون بمراجعة الكتب ، ولذلك كثر المشتغلون بالعلم وكثرت الحاجة لنسخ الكتب ، فظهرت صناعة الوراقة ، فكان الوراقون يجمعون الورق ويكتبون فيه التصانيف الرائجة ويجلدونها ويبيعونها للطلاب ، فكانوا أشبه الناس بأرباب المطابع الآن الا أن الفقر كان يحول دون اقتناء الكتب ولا يصل الى درجة من العلم يعتد بها الا من كان فى سعة من العيش ، أو كان له طريق الى دور الكتب العامة . وفى هذا العهد أنشأ الخلفاء والملوك والوزراء والأغنياء دورا للكتب فى المساجد ومعاهد التعليم ، فكان عليها معتمد الفقراء من الطلاب ، ثم ظهرت المطبعة بعد ذلك فاستوى فى تحصيل العلم قوى الحافظة وضعيفها وواسع ذات اليد وضيقها ، ولم يخطىء من قال انها قلبت وجه الأرض وغيرت أحوال ما عليها ، واستعمل الناس الطبع بطرائق مختلفة .

الأولى أن يكتب الكاتب ما يريده بحبر لزج على الورق ، ثم يلصقه بلوح مستو من الخشب المصقول أو من المعدن كالنحاس ، فتظهر فيه الكتابة

مقلوبة ، ثم يحفر موضع الكتابة بقلم من الفولاذ أو الحديد ويملأه حبرا وينظف باقى اللوح ثم يضع على اللوح ورقة ويضغط عليهــا فتخرج مكتوبة على الاعتدال .

والثانية أن يبقى موضع الكتابة فى اللوح ويحفر ما عداها ، فتبقى الكتابة بارزة وما عداها منخفضا ، ثم يمر باسطوانة مدهونة بحبر لزج على المواضع البارزة بحيث لا تمس المنخفض ، ثم يضع على اللوح ورقة ورقة ، ويضغط عليها ضغطا خفيفا باسطوانة لينة خفيفة .

والثالثة أن يرسم ما يريده بحبر زيتى أو قلم خاص ، ثم يلصقه بحجر أملس مستو ويرب الحجر بالماء فاذا مرت عليه الأســطوانة المدهونة حبرا استمدت الكتابة من الحبر ، وبقيت الأجزاء الرطبة نظيفة ، ثم يضغط الورق على الحجر فتخرج التابة نظيفة ، وتسمى المطبعة التى تعمل هذا العمل : مطبعة الحجر .

والرابعة أن يصهر جزء من الرصاص وجزء من الأتيمون وجــزء من القصدير وتمزج بعضها ببعض ويسمى هذا المزيج بمعدن الحروف ، ويسبك فى قوالب صغيرة تسمى الأمهات ، فتخرج حروف كل حرف على حدة ، فاذا صفت هذه الحروف بعضها الى بعض تكون منها سطح مستو بعضه بارز وبعضه منخفض ، فيستعمل كما فى الطريقة الثانية ، وتسمى هذه : مطبعة الحروف .

والخامسة مطبعة الغراء المسماة بالافرنكية « فيلسوغراف » المعــروفة عند العامة « بمطبعة البالوظة » وهى مادة غروية تصب فى حوض من زنك فتكون سطحا مستويا ، وهذا السطح يلصق به قرطاس مكتوب بحبر خاص فتعلق الكتابة به مقلوبة ثم يطبع عليها ورقة ورقة بدون أن يمد الحبر بحبر جديد وتستعمل هذه المطبعة للكتابات المستعجلة كالمنشورات ، ولا تطبع الا عددا قليلا من الورق وبعد الطبع تمسح لتستعمل مرة أخرى وهلم جرا .

والسادسة مطبعة النضح المسماة بالافرنكية « ميموغراف » وهى عبارة عن نسيج لين كالجلد أو المشمع سطحه مدهون بمــادة لزجة يكتب على القرطاس ويلصق به ، ثم يطبع كمطبعة الغراء ، ولا يمكن مسح الــكتابة منه بل يطوى ما كتب ويستعمل ما بعده حتى ينتهى النسيج ، وهو يكون

فى العادة طويلا ومطويا على اسطوانتين احداهما خاصة بما كتب والأخرى خاصة بما لم يكتب ٠

وأنفع هذه المطابع مطبعة الحروف ، وعليها المعول الآن فى نشر الكتب والصحف السيارة ، ولابد لجامع حروفها من صندوق مقسم الى عيون بقدر عدد حروف الهجاء مضروبة فى الأشكال الممكنة لكل حرف ، فيوضع فى كل عين عدد وافر من شكل من أشكال الحروف ، ويضاف الى تلك العيون عيون أخرى للعلامات والأرقام فيتكون الصندوق من ٩٠٠ عين كما فى مطبعة بولاق أو من ٨٠٠ عين كما فى مطبعة باريس ، وقد اختصرت عيـون مطبعة الجامعة بأكسفورد الى ٢٨٢ عينا ، واختصرت عيون مطبعة بولاق الى ١٧٨ عينا ، ولا يزال أهل التفكير من أرباب المطابع مشمرى السواعد لاختصار العيون أكثر من ذلك لتسهيل العمل وتقليل العمال وتوفير الزمن ٠

وأكبر عقبة تعترضهم فى سبيلهم رداءة منظر الكتابة كلما اختصرت الحروف ، واتساع مسافة الخلف بين المنسوخ والخط المطبوع ، فكلمـا كانت العيون كثيرة كانت الكتابة المؤلفة منها أقرب شبها بخط النسخ ، وكلما كانت قليلة كانت أبعد عنه ٠

وقد اخترع الافرنج آلة صغيرة للكتابة لها أزرار مصفوفة كل زر لحرف معين اذا ضغط عليها بالأصابع خرجت الكتابة فى أقل من ثلث الزمن الذى تشغله الكتابة بالقلم ، وسموها « تايبْـرَيْـتـِرْ » وقد فكر صديقنا الشيخ أحمد الأزهرى فى عمل آلة من هذا النوع للكتابة العربية واستعان بصديقه المهندس ولكوكس ، فنجح فى عمله ، ولكن سبقه الى اعلان العمل «ادريس وحداد » فسجلا عملهما قبل أن يسجل عمله ، فظهرت للوجود آلة خفيفة الحمل يكتب بها الكاتب ما يريد فى زمن قليل ، وسميت بالراقمة ، واستعملت فى دووابن الحكومة بمصر ومكاتب التجارة والمحامين ولا تزيد أزرارها عن ٧٦ زرا ٠ الا أن خطها لفرط الاختصار تنبو عنه الأنظار ٠

ولا خلاف فى أن أول من اخترع المطبعة فى الدنيا أهل الصين ، ولكنها كانت من النوع الأول والثانى والثالث ، وانما الخلاف فى مخترعها فى أوربا ، فأهل هولنده يقولون انه لورنس كوستر من هرلم المتوفى سنة ١٤٣٢ وأن

جوتنبرج الألمانى كان أحد عملته ، وقال آخرون انه حنا فوست المتوفى سنة ١٤٦٦ ، وقال غيرهم انه بطرس شوفر المتوفى سنة ١٥٠٢ والمشهور أنه جوتنبرج الألمانى المتوفى سنة ١٤٦١ وابتدأ فى تعاطى فن الطباعة فى مدينة ستراسبورج سنة ١٤٣٦ بالحروف الافرنكية ، ومحل هذا الخلاف فى مطبعة الحروف ، أما مطبعة الخشب والحجر فقد وجدت فى أوربا قبل ذلك ، وأول كتاب طبع فى أوربا بالحجر التوراة المعروفة بتوراة الفقراء سنة ١٤٣٠ .

وأول كتاب طبع فى أوربا بالعربية كتاب المزامير ، ثم تلاه كتب أخرى طبعت بالعربية قبل أن يعرف العرب المطابع ، وهاك بيان المطبوعات الأولى بالعربية :

كتاب المزامير	طبع فى جنوى	سنة ١٥١٦
التوراة ترجمة سعيد الفيومى	طبع فى الآستانة	سنة ١٥٥١
الانجيل	طبع فى رومية	سنة ١٥٩١
قانون ابن سينا	طبع فى رومية	سنة ١٥٩٣
تحرير الأصول الهندسية لنصير الدين الطوسى وهو ملخص كتاب اقليدس المشهور	طبع فى رومية	سنة ١٥٩٤
المزامير	طبع فى الشوير (بالشام)	سنة ١٦١٠
الانجيل	طبع فى هولندة	سنة ١٦١٦
التوراة	طبع فى باريس	سنة ١٦٤٥
التوراة	طبع فى لندرة	سنة ١٦٥٧
التوراة	طبع فى رومية	سنة ١٦٧١
القرآن	طبع فى همبرج	سنة ١٦٩٤

وفى سنة ١٥٩١ سعى سفير فرنسا فى الآستانة « سڤارى ده بريف » فى استكتاب حروف بالخط النسخى الجميل وعمل آباء للحروف بمقتضى هذا الخط لا تزال محفوظة فى باريس يصنعون منها أمهات ويسبكون فيها الحروف .

ولما فتح نابليون مصر أنشأ مطبعة فى الاسكندرية وأخرى بالجيزة وأخرى بالقاهرة سنة ١٧٩٨ ، وكان يستخدم هذه المطابع لنشر منشوراته وأوامره بالعربية على أهل القطر .

وفى سنة ١٨٢٠ أنشئت مطبعة بولاق ومن أقدم مطبوعاتها معجم عربى ايطالى طبع فى سنة ١٨٢٢ ولهذه المطبعة الفضل الأكبر على مصر وغيرها من البلاد العربية وغير العربية ، لنشرها أنفع الكتب وأشهرها مصححة تصحيحا دقيقا ، لانقطاع جماعة من العلماء بها للتصحيح والمراجعة ، وقد كثرت المطابع العربية بمصر والشام والغرب وفارس والهند وأوربا ، الا أن العنــاية بالتصحيح أخذت تقل فى أكثر المطابع بمصر ، بسبب اقتصار قلم المطبوعات على مراقبة الصحف السيارة دون الكتب ، وهو خطر عظيم على العلم ، وتكثر فى مطابع أوربا بسبب عناية علماء المشرقيات بالمطبوعات العربيــة وضنهم بوقتهم أن يضيع سدى فى قراءة كتاب غير مصحح ربما يكون ضرره أكثر من نفعه .

ويفهم مما أسلفناه أن المصريين لم يشتغلوا بالطبع قبــل أن يغير عليهم نابليون وينشر عليهم أوامره من مطابع الاسكندرية والجيزة والقــاهرة ، وهو خطأ فى التاريخ لا يغتفر ، وان كان مشهورا لأن الطبع كان معروفا فى مصر فى دولة الفاطميين قبل أن يخلق جوتنبرج ولورنس وحنا فوست وبطرس شوفر ، وقبل أن تسمع به أوربا ، الا أنه كان قاصرا على الأوامر العسكرية ، وبالطريقة الثانية . وفى دار الكتب الامبراطورية بمدينة فينــا - وما هى ببعيد - أثر محفوظ من مطبعة الدولة الفاطمية ، فليطلع عليها من شــاء ولينصف التاريخ .

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الأنام وان كانوا ذوى رحم

اختزال الكتابة

والغرض منه تدوين كلام الخطباء بمجرد سماعه ، ويكون بوضع حروف أو علامات يصطلح على اغنائها عن كلمات مفردة أو مركبة ، وهو مستعمل الآن فى أوربا وأميركا بنجاح باهر ، بحيث يسمع السامع خطبة الخطيب فى مجلس حاشد ، فلا يكاد يخرج من المجلس حتى يجد الخطبة منشـــورة فى صحف الأخبار . وهذه السرعة الغريبة تتوقف على ثلاثة من العمال أحدهم فى المجلس يكتب ما يسمع ، وآخر رســـول واقف بجانبه يأخذ كل ورقـــة تكتب ، وثالث فى المطبعة خبير باصطلاح الاختزال ينتظر كل ورقة ترد فينقلها حالا الى الكتابة العادية ويسلمها للطبع .

وأول من اختزل الكتابة أهل الصين ثم اليونان والرومان ثم العرب ثم باقى أوربا . ويسمى عند الصين قلم الجموع ويسميه اليونان قلم السَّامِيَاءِ والرومان بالحروف الحتيرونية واسمه عند الافرنج ستينوغراف .

قال محمد بن زكريا الرازى : قصدنى رجل من الصين ، فأقام بحضرتى نحو سنة تعلَّم فيها العربية كلاما وخطا ، فلما أراد الانصراف الى بلده قال لى قبل ذلك بشهر : انى عزمت على الخروج فأحب أن تملى علىّ كتب جالينوس الستة عشرة لأكتبها فقلت له : لقد ضـــاق عليك الوقت ولا يفى زمان مقامك بنسخ قليل منها . فقال الفتى : أسألك أن تهب لى نفسك مدة مُقامى وتملى على بأسرع ما يمكنك ، فانى أسبقك بالكتابة . فتقدمت الى بعض تلاميذى بالاجتماع معنا على ذلك ، فكنا نملى عليه بأسرع ما يمكننا ، فكان يسبقنا ، فلم نصدق الا وقت المعارضة ، فانه عارض بجميع ما كتبه . وسألته عن ذلك فقال : ان لنا كتابة تعرف بالجموع ، وهو الذى رأيتم . اذا أردنا أن نكتب الشيء اليسير فى المدة اليسيرة كتبناه بهذا الخط ، ثم ان شئنا نقلناه الى القلم المتعارف .

وأول من اختزل الكتابة اليونانية زينوفون الفيلسوف ، فانه وضع اصطلاحات وتمرن عليها ، وأمكنه بعد ذلك أن يكتب أقوال الخطباء فى المحافل العامة .

قال جالينوس : كنت فى مجلس عام ، فتكلمت فى التشريح كلاما عاما ، وبعد أيام لقينى صديق لى فقال لى : انك قلت فى مجلسك كذا وكذا ، وأعاد ألفاظى بينها ، فقلت له : من أين لك هذا ؟ فقال : لقيت كاتبا ماهرا فى السامياء كان يسمع كلامك ويسبقك بالكتابة ، فأخذت عنه ما قلت ، وكان سيسرون الرومانى يوزع فى قاعة المجلس كتبة ماهرين علمهم اشارات وحروفا تقوم مقام الكلمات ، ومنهم مولاه تيرون وهو أبرعهم ، ولذلك نسبت اليه هذه الحروف ، وسميت الحروف التيرونية .

وقال محمد بن اسحاق المعروف بابن النديم فى كتابة الفهرست : جاءنا من بعلبك فى سنة ٣٤٨ رجل متطبب زعم أنه يكتب بالسامياء فجربنا عليه ما قال فأصبناه اذا تكلمنا عشر كلمات أصغى اليها ، ثم كتب كلمة واحدة ، فاستعدناه منه ما تكلمنا به ، فأعاده علينا بألفاظنا .

وسبب فقد هذا الفن من القدماء أنه كان سرا مكتوما ، فلم يظفر به الا بعض الملوك ، والقليل من الكتاب . ولذلك ذهب بذهاب أهله وانقرض بانقراضهم ، وتلك آفة العلوم السرية ونتيجة تجاوز الحد فى الضن بها . وأول من استعمله بعد انقراضه الانكليز فى القرن السابع عشر : وليس لهم الا طريقة واحدة وضعها اسحاق بتمان . وللأمريكيين ثلاث طرائق وللفرنسيين طرائق شتى .

وقد أصبح الآن فى أوربا وأمريكا فنا من الفنون التى تعلم فى المدارس ومهنة من المهن التى تتخذ للكسب والتعيش ، أما فى البلاد العربية فغير معروف والحاجة اليه شديدة ، وقد أخذ الناس فى مصر يتوقعون ظهور اصطلاح للاختزال فى اللغة العربية ، وبعضهم رصد جوائز لمن يضع أحسن اصطلاح ، ولكن للآن لم يظهر من يستحق تلك الجوائز ، وفى كتاب دائرة المعارف للبستانى اصطلاح وضعه سليمان افندى البستانى مذكور فى الجزء التاسع فى حرف السين ، ولم يستعمله أحد لصعوبته وعدم كفايته .

على أن الحاجة الى الاختزال فى اللغة العربيــة أقل منها اليــه فى لغات أوربا ، لأن اللغة العربية مختزلة من نفســها بعض الاختزال لعــدم وضع حروف للحركات فى صلب كتابتها ، ولذلك رأينا كثيرا من الكتبة يكتبون محاضر الجلســات بأقلام الرصاص أو بالأقلام المدادة (الأمريكية) ، فلا يغادرون كلمة من كلمات الخطيب الا قيدوها ، وهو شيء يسهل بالممارسة والمرون لمن يتصدى له .

وقد اصطلح الكتاب والمؤلفون على حروف تغنى عن كثير من الكلمات وهى لا شك نوع من الاختزال .

من ذلك عند أكثر المؤلفين :

تع	أى تعالى نحو قال الله تعالى
صلعم	أى صلى الله عليه وسلم ، وبعضهم يكتبها ص
ع م	أى عليه السلام
رضه	أى رضى الله عنه ، وبعضهم يكتبها ض
الخ	أى الى آخره
ح	أى حينئذ
اهـ	أى انتهى
ثنا	أى حدثنا
أنا	أى أنبأنا
نا	أى أخبرنا
لايخ	أى لا يخفى
لانم	أى لا نسلم
مم	أى ممنوع
ظ	أى ظاهر
ص	أى المصنف
ش	أى الشارح
هف	أى هذا خلف
م	أى معتمد
ض	أى ضعيف

وعند كتاب الدواوين :

م	أى محرم
ص	أى صفر
را	أى ربيع الأول
ر	أى ربيع الثانى
جا	أى جمادى الأولى
ج	أى جمادى الثانية
ب	أى رجب
ن	أى شعبان
ض	أى رمضان
ل	أى شوال
ذا	أى ذو القعدة
ذ	أى ذو الحجة

وعند الرياضيين :

ر	أى الربح
ع	أى سعر الفائدة
ن	أى الزمن
م	أى رأس المال
د	أى الدفعة السنوية
ح	أى الحطيطة
س	أى الشيء المجهول المطلوب استخراجه
ط	أى النسبة التقريبية بين محيط الدائرة وقطرها
نق	أى نصف القطر
ق	أى القاعدة
ع	أى الارتفاع
ح	أى الحجم
س	أى السطح
جا	أى جيب الزاوية

جتا	أى جيب تمام الزاوية
ظا	أى ظل الزاوية
ظتا	أى ظل تمام الزاوية
قا	أى قاطع الزاوية
قتا	أى قاطع تمام الزاوية
لو	أى لوغاريتم

وعند علماء الكيمياء :

ا	أى أوكسجين
ب	أى بور
بر	أى بروم
بز	أى بزموت
بلا	أى بلاتين
بو	أى بوتاسيوم
ح	أى حديد
خ	أى خارصين
ذ	أى ذهب
ر	أى رصاص
زر	أى زرنيخ
ز	أى أوزت
س	أى سليبوم
ص	أى صوديوم
ف	أى فضة
فل	أى فلور
فو	أى فوسفور
ق	أى قصدير
ك	أى كربون
ک	أى نيكل
كب	أى كبريت

كل	أى كلور
كو	أى كوبلت
لو	أى ألومينيوم
م	أى منجنيز
ما	أى ماغنيسيوم
ن	أى أنتيمون
نح	أى نحاس
ى	أى يود
يـ	أى زئبق
يد	أى ايدروجين
يو	أى رديوم

الى غير ذلك من اصطلاحات الفنون ، أما الاصطلاحات الخصوصية فأكثر من أن تحصى وأكثرها أسماء رجال ، مثل (س) لسيبويه و (خ) للبخارى و(م) لمسلم و (د) لأبى داود و (ت) للترمذى و (ن) للنسائى و (هـ) لابن ماجه . ولا يعنينا فى هذا المقام أمرها ، لعدم امكان دخولها فى الاستعمال العام .

سعة الحروف العربية لجميع اللغات

بينا فيما سبق أن الحروف التى نطقت بها العرب ٤٥ حرفا ، وأن الحروف التى كتبتها ٢٨ حرفا فقط ، لأنها لم تضع حروفا كتابية للأربعة عشر حرفا المتفرعة ، واكتفت بثلاثة أحرف كتابية وهى (ا و ى) للدلالة على ستة أحرف من الحروف الأصلية ، وبينا أن الحركات التى نطقت بها العرب ٧ حركات ولكن المكتوبة منها ٤ فقط .

ونقول الآن ان هذه الحروف الثمانية والعشرين والحركات الأربع كافية لتصوير اللغة العربية ، ولا يحتاج العربى لأكثر منها ما دام محافظا على لغته ، لأنه اذا عرضت له أعلام أعجمية مشتملة على أحرف وحركات خارجة عن أحرف العربية وحركاتها ردها وجوبا الى أحرف وحركات عربية تقرب منها ، وهذا ما يسمى تعريبا .

ولكن اذا أراد الكاتب العربى أن يصور تلك الأعلام بحروفها وحركاتها الأعجمية لينطق بها كما ينطق بها أهلها ، أمكنه ذلك بتعديل خفيف فى الحروف العربية .

وكذلك اذا أراد أن يكتب اللغات الأعجمية بحروف عربية ، فان الحروف العربية كافية لسعة تلك اللغات مع التعديل الخفيف المذكور .

وليس هذا ببدع فى الاستعمال . كما يزعم بعض قصار النظر ، لأننا رأينا الأمم الأوربية تصور بحروفها جميع اللغات مع تعديل فى الحروف ، ورأينا كثيرا منهم يتكلمون بلغات لا يعرفون من حروفها شيئا اكتفاء بحروف لغتهم وفى هذا الصنع تسهيل عظيم لمن يريد أن يتعلم لغة أجنبية عنه فى زمن قليل ، لأنه يكون متفرغا لتعلم اللغة نفسها ، وكثير من طلاب اللغات يحول بينهم وبينها صعوبة تعلم خطها فيفتر نشاطهم ويقفون فى الخط ، مع أنهم لو وجدوا كتبا فى تلك اللغة بخطهم لتعلموا قدرا صالحا من تلك اللغة فى زمن وجيز ، وأدى بهم الحال بعد أن يذوقوا حلاوتها الى تعلم خطها من أنفسهم كما يفعل الكثير من الأوربيين .

ولم يتفق كتاب العرب على طريقة لتعديل الحروف والحركات حتى تكون صالحة لتصوير اللغات الأعجمية • وأضبط الطرائق وأنفعها الطريقة التى أشار اليها العلامة عبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة ٨٠٦ هجرية وخلاصتها : أن يكتب الحرف الأعجمى بحرف عربى ممتزج من الحرفين العربيين اللذين يكتنفان مخرج ذلك الحرف الأعجمى فمثلا : الحرف G الذى نطقه الجيم والكاف بعد أحرف خاصة يكتب بحرف ممتزج بين الجيم والكاف ، والحرف الفرنسى J الذى نطقه بين الجيم والشين يكتب بحرف ممتزج من الجيم والشين ، والحرف P الذى نطقه بين الباء والفاء يكتب بحرف ممتزج بين الباء والفاء ، والحرف V الذى ينطق به بين الفاء والواو يكتب بحرف ممتزج بين الفاء والواو وهلم جرا • ومثل ذلك يقال فى الحركات •

وهذه الطريقة اقتبسها « ابن خلدون » من طريقة علماء القراءات فى الصدر الأول ، فانهم كانوا يكتبون الحرف المتفرع الذى نطقه بين حرفين أصليين بأحد الحرفين الأصليين ، ويضعون فوق الحرف الآخر حرفا صغيرا بالمداد الأحمر كالصراط وأصدق عند من ينطق الصاد فيهما حرفا بين الصاد والزاى ، فان كتّاب المصاحف يرسمونها صادا بالمداد الأسود ويرسمون فى داخلها زايا صغيرة بالحمرة وكقيل وبيع عند من ينطق الياء حرفا بين الواو والياء ، فان كتاب المصاحف يرسمونها ياء بالمداد الأسود ويرسمون فوقها واوا صغيرة بالحمرة •

وقد جرى على هذه القاعدة الخلدونية من علماء هذا العصر الشيخ اليازجى واستعملها فى مجلة الضياء الى آخر لحظة من حياته ، ونحن نوافقه عليها كل الموافقة لأنها مبنية على أصل متين مضبوط ، غير أننا نخالفه فى أربعة حروف (V P J G) اصطلح الفرس والترك على كتابتها بطريقة أخرى واشتهرت طريقتهم فيها بين كثير من كتاب العربية ، فالأخذ بطريقتهم المشهورة أولى وأقرب ، ولا سيما أنهما الأمتان العظيمتان اللتان تشاركان العرب فى الكتابة بالحروف العربية ، واليك بيان الطريقة التى اخترناها بالتفصيل •

گ للدلالة على حرف G بعد A مثلا وهو جيم أهل البحرين المستعملة في القاهرة .

ژ للدلالة على حرف J الفرنسي وهو الجيم المستعملة على لسان السوريين والمغاربة .

پ للدلالة على حرف P المعروف بالباء الفارسية .

ڤ للدلالة على حرف V الذى بين الفاء والواو .

خ للحرف الجرماني CH المنطوق به في جرمانيا بين الخاء والشين .

ـُ للدلالة على الحركة O التى بين الضمة والفتحة كخوخ في لسان القاهرة .

ـُ للدلالة على الحركة U التى بين الضمة والكسرة كقيل بالاشمام في لغة قيس .

× للدلالة على الحركة E التى بين الفتحة والكسرة كليل في لسان القاهرة .

ـُ للدلالة على الحركة EU التى بين الضمة والفتحة كفلور عند الفرنسيين .

فاذا مدت هذه الحركات الأربع دل على المد بواو ما عدا × فيدل على المد بعدها بألف على طريقة الصرفيين أو بياء على طريقة أصحاب القراءات فتكتب Michel هكذا ميشال أو ميشيل وتكتب Col هكذا كُول وتكتب cur هكذا كُور وتكتب fleur هكذا فلوُر

وتضع فوق النون الساكنة زاوية حادة هكذا ^ لتدل على النون الخفية في لسان فرنسا مثل بيان وزاوية منفرجة لتدل على النون المفحمة مثل سان

فان قلت ان الحركة لا تكفى للدلالة على حرف e التى بين الفتحة والكسرة لأن هذه الامالة عند الافرنج ليس نطقها واحدا لأن منها الخفيفة

ومنها الشديدة هكذا (e é è ê ai) فالجواب أن هذه العلامة × زاويتاها العليا والسفلى منفرجتان ويمكن تضييقهما هكذا x وهكذا x فكلما كانت الامالة الى الياء أكثر كانت الزاويتان المذكورتان أضيق ، وبذلك تتم الدلالة المطلوبة .

وبما قدمناه من الحروف والحركات الاصطلاحية يمكن كتابة اللغات الفرنسية والانكليزية والجرمانية والايطالية وغيرها من اللغات ، فاذا وجد فى لغة من اللغات حرف غير ما ذكرناه ، فالقاعدة معروفة وهى تصويره بحرف عربى ممتزج من الحرفين المكتنفين لمخرجه ، ولم نذكر فى الحروف التى أخذناها عن الفرس والترك حرف چ لأنه لا حاجة اليه لأن الأمتين المذكورتين ينطقان به (تش) وهما حرفان فى الحقيقة تاء ساكنة وشين وهما موجودان فى الحروف العربية الأصلية ، فاذا احتجنا لتصوير ما يدل عليه بحرف چ كتبنا تاء وشينا ، وقد اصطلح كتاب مصر وحدهم على استعمال هذا الحرف چ للدلالة على الحرف J الفرنسى أى جيم المغاربة بدل الحرف التركى ژ ، ولكن هذا الاصطلاح لا وجه له لأنه مع خروجه عن القاعدة الخلدونية المضبوطة مخالف لاصطلاح الأمتين العظيمتين اللتين تشاركاننا فى استعمال الحروف العربية ، فالجرى على اصطلاحهم أولى من انفراد باصطلاح مخالف للقاعدة الأصلية .

ولا داعى لوضع حرف خاص بالجيم الانكليزية ، لأنها كالجيم العربية الصحيحة .

الفهـــرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

واللاطون : الشِّبْهُ والشَّبَهُ ج أَشْبَاه ، قيل سمى بذلك لأنه يشبه الذهب .

ومنها : الرَّصاص : وهو الآنُك .

والحديد : جنس ، لا يثنى ولا يجمع . والحدَّاد : معالجه .

والذَّكَر والذَّكِير من الحديدِ : أَيْبَسُهُ وأَجْوَدُه .

والفولاذ والفالوذ : الذُّكْرة من الحديد تزاد فى الحديد .

الأحجار الكريمة :

اللؤلؤ : واحدته لؤلؤة . صاحبها : لأَّء ، أو لأَّل ، ولألاء . وحرفته اللِّئالة .

الزُّمُرُّد : الزَّبَرْجَدُ (أخضر) .

الدُّرة (يمانية) : اللؤلؤة العظيمة ، ج دُرٌّ ودُرَر .

دُرَّة خَضِيلة : صافية ، قيل هو من البلل .

عقائل البحر : دُرَرُهُ ، واحدتها عقيلة .

المَهَاة : الدُّرَّة ج مَهًا .

الياقوت : جوهر أحمر وأخضر وأصفر .

الْخَرزُ : فصوص من حجارة ، واحدتها خَرَزة .

العقيق : خَرَز أحمر تتخذ منه الفصوص .

المَرْجان : اللؤلؤ الصغار ، واحدته مرجانة (انظر ص ٥٩) .

تنبيه : اللؤلؤ والمرجان : إفراز حيوان بحرى .

﴿ إنتهى ﴾

مضمون التذكرة

مطبعة المعارف ١/١٠٠٠/١٢/١٩٣٥

صفحة

رقم الايداع بدار الكتب ٢٩٦٢ سنة ١٩٧٣

طبع هذا الكتاب بمطبعة جامعة القاهرة

مدير المطبعة

على محمد حسن اسماعيل

١٩٧٣/٤/٢٦

(مطبعة جامعة القاهرة ١٩٧٣/٤٥/ ٢٥٠٠)